حيفا

جوني منصور

المدينة الفلسطينية

في فترة الانتداب البريطاني



تطورات وتحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية

«حيفا نموذجًا»

٢٠٠٩





دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

الرعاة
للدراسات والنشر

جوني منصور

المدينة الفلسطينية
في فترة الانتداب البريطاني

تطورات وتحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية

حيفا نموذجًا

٢٠٠٩

الكتاب: المدينة الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني

الكاتب: جوني منصور

صدر عن



رام الله - فلسطين

الشارع الرئيسي - ص.ب: ١٨٥١

تلفون: ٢٢٩٦١٦١٣ ٢ ٩٧٠+

فاكس: ٢٢٩٧١٢٦٥ ٢ ٩٧٠+

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

الاشراف الفني:



إهداء

إلى أبناء المدينة الفلسطينية

الحاملين تراثها، الحالمين بالعودة إليها

جوني منصور



المحتويات



مقدمة

لم تحظ المدينة الفلسطينية بأبحاث ودراسات معمقة، خاصة التاريخية. والاشارة هنا في الحدود الزمنية إلى فترة الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨. حيث جرى التركيز على الجانب السياسي والنضالي في مواجهة عدوين شرسين هما الحكم البريطاني والحركة الصهيونية.

فبالرغم من قوة الانجليز وسطوة ونفوذ مؤسسات ورجال الحركة الصهيونية إلا أن المدينة الفلسطينية شقت طريقها نحو تكوين مجتمع مدني معاصر يواكب تقلبات وتغيرات العصر.

التحولات والتغيرات التي عصفت بالمدينة الفلسطينية كثيرة هي، وليست محدودة العدد او المجالات. ولعبت هذه التحولات دورا بارزا في صياغة شكل ومضمون المدينة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا وروحيا.

لقد اخترنا حيفا نموذجا للمدينة الفلسطينية لكونها تمثل سلسلة مركزية من التحولات والتغيرات التي كانت من نصيبها. فمن مدينة صغيرة وهامشية الدور حتى مطلع القرن العشرين إلى مدينة صناعية واقتصادية في غاية الاهمية في المنظورين المستقبليين البريطاني والصهيوني. ورأى الفلسطينيون أهمية الدور الذي تلعبه المدينة الفلسطينية، وحيفا في هذا السياق، لذا لجأوا إلى المساهمة والمشاركة الفعالة



في بناءها وتطورها.

هذه الدراسة أولية واساسية من حيث كونها تطرح أفكارا وتصورات لشكل المدينة الفلسطينية زمن الانتداب، ولكونها - أي الدراسة - تتيح مساحة أكبر من البحث المستقبلي لظاهرة المدينة الفلسطينية المعاصرة.

تتكون الدراسة من مدخل يستعرض أهمية دور الأحداث التاريخية في تكوين الوعي التاريخي والانساني لدى الفلسطيني خاصة والعربي عامة لمواجهة التحديات والتغيرات التي تعصف به وبمجتمعه ومدينته. ويلي المدخل فصول تحتوي على نماذج من مركبات ومكونات المدينة: الاجتماعية والتعليمية والثقافية والرياضية والصحافية وغيرها للدلالة على شمولية الرؤية لدى أصحاب المدينة. وأرفقنا مع الدراسة مجموعة كبيرة من الصور التي جمعناها من مصادر منشورة ومن مجموعات خاصة ما زالت في أدراج والبومات ومحفوظات ابناء المدينة أو ورثة مؤسسي المدينة وبُنَاتها.

آمل أن أكون قد وُفقت على تقديم ملامح من تاريخ حيفا، كنموذج للمدينة الفلسطينية في العصر الحديث، وحركة انتقالها من فترة بدائية إلى فترة نامية ومن ثم متقدمة.



مدخل

قبل الدخول مباشـرة في الموضـوع الذي نحن بصدده، لا بد لنا من التطرق ولو سريعا إلى أهمية دراسة التاريخ، وانعكاسـات أحداث الماضي على حياة الانسـان في الحاضر وتفاعله معها واستعداداته لخوض غمار المستقبل.

في واقع الأمر لقد كان المؤرخون والمفكرون المتخصصـون بتحليل وفلسـفة الحدث التاريخي متفرقون في رؤيتهم التكوينية لحدث ما يعالجونه، كل من زاوية يعتقد هي الأفضل لتحقيق ذلك. وتناقشوا كثيرا فيما يتعلق بمسـألة علمية التاريخ وموضوعيته، والهدف من دراسته، وهل يمكن لهذا الموضوع أن يوصلنا إلى اتخاذ مواقف حاسمة تجاه الأحداث والمتغيرات التاريخية؟

بطبيعـة الحال لن نقوم بمعالجة مُعمّقة لهذه القضـايا الهامة، إنما أردنا من وراء طرحها أن نسـتجلي أحداث الماضـي، وفهم هذا الماضـي بشـكل أفضـل من مجرد طرح أحداثه دون تحليلها بالصورة التي توضح لنا كيف حدثت ومن وقف ورائها وماذا تعني؟ الخ... ومن جهة أخرى يساعدنا التاريخ ليس فقط في طرح الاسـئلة والتسـاؤلات، إنما في التعرف على مجمل الخبرات الانسانية والفردية. فالانسان كفرد يمتلك خبرة، وبكونه جزء أساسي ومُركّب مركزي في المجموعة البشرية فإننا نتعرف على دوره التاريخي ومساهماته في دفع عجلة الحياة إلى الأمام.



والتاريخ قديم قدم الانسـان، فمنذ أن تفتقت عيني الانسـان على نور الحياة وأدرك وجوده وفهم كيانه فهما اساسـيا، أخذ يُدوّن تاريخه ليتذكره ويسـتفيد منه في المسـتقبل، وليترك معلومات لمن سـيأتي من بعده، كجزء من شعور المسؤولية تجاه الحضارة عامة.

وليس هدف اسـترجاع الحدث التاريخي أو دراسـته للتباهي بالماضـي والتغنـي بالأمجاد، لأن مثل هذه الخطوة لا بد وان توصـلنا إلى طريق مسـدود دون تحديد هدف أو رؤية. ولهذا، فإن اسـترجاع الحدث هو عبارة عن أداة ووسـيلة تسـاعد الانسـان في فهم تطورات هذا الحدث، وبالتالي كيفية التعامل معه، لأن الحدث ليس نقطة واحدة منفصـلة لوحدها إنما مترابط مع أحداث أخرى على محور الزمن الذي يُسيّر الأحداث بمجملها.

وفي الانتقـال إلى الجماعـة المنتمية إلى شـعب أو أمة واحدة فإن إدراك التاريخ وفهمه يسـاهم كثيرا في تقدم وازدهار المجتمع، لكونه يعتمد على خلاصـة الخبرة الانسـانية. ويساعد فهم وإدراك التاريخ على التمييز بين الصحيح من الخطأ، وبين الجيد من السيئ.

ومـن هنـا ندرك جيدا أنه لا يوجد شـعب من شـعوب هذه الأرض يتنـازل عن تاريخه ورمـوزه وأبطاله

وشخصياته وأعلامه ومعالمه المادية والفكرية والحضارية. إن شعبا لا يملك تاريخا لا يمكنه أن يخطو نحو المستقبل خطوة واحدة.

لذلك ليس بغريب أن نرى أن الشعب الفلسطيني بكافة مركباته المجتمعية ومكوناته الفكرية وتياراته السياسية قد كسب خبرة تاريخية واسعة وعميقة جراء النكبة التي عصفت به بقوة في عام ١٩٤٨. صحيح وسليم التمني لو أن النكبة لم تحصل، ولكن هذا التمني ليس من نصيب التاريخ ولا الزمن، وبما أنه قد حدث فإن التعامل مع حدث النكبة هو مفصلي جدا في مسيرة الشعب الفلسطيني التاريخية. فالنكبة قلبت موازين ومعايير التعامل بين الفلسطيني والحدث التاريخي، إذ وجد نفسه مضطرا إلى الدفاع عن تاريخه وكشف الحقيقة التاريخية. فالحقيقة التاريخية ليست فقط ما هو موثق في نص أو صورة أو مستند محفوظ في الارشيف أو المكتبات، إنما ما يحمله كل فلسطيني من خبرة شخصية تركت ظلالها على مجرى حياته اليومي، وبالتالي تركت أثرها العميق على مجمل خبرات المجتمع الفلسطيني.

لهذا، وجد الفلسطيني فرصة للتعامل مع التاريخ ليس فقط كموضوع للدراسة إنما كسلاح يحمي بواسطته ماضيه وتراثه وحضارته ومساهمته في بناء وطنه «فلسطين». حدث النكبة قوى العلاقة الشخصية بين الفلسطيني وبين فلسطينه، إذ أن التهجير والتشريد والبعد عن المكان الجغرافي زاد من تمسك الفلسطيني بأرضه ووطنه وحقه في العودة إلى هذا الوطن والعودة إلى أرضه التي ولد فيها وانطلق منها.

وتُعاني مناهج تعليم التاريخ في العالم العربي عامة من تراجع في التعامل المنهجي والانساني مع القضية الفلسطينية، وذلك بسبب الضغوط القوية المعمول بها لتحديد ارتفاع سقف طرح القضية الفلسطينية على الطالب العربي كي لا يتمكن من بناء هويته النضالية للسعي من اجل تحرير فلسطين والأرض الفلسطينية وإحقاق حق الشعب العربي الفلسطيني.

تتعرض مناهج تعليم التاريخ في العالم العربي (معظمه) إلى أساليب الاختراق والاحتواء. فالاختراق يعني التدخل في مركبات المناهج وتليينها والتخفيف من توجهاتها القومية والنضالية والكفاحية، وتسييرها وفقا لمناهج تتناسب وقوى اوروبية وغربية ترى في هذه المناهج خطرا على مصالحها ووجودها، وتتهمها في بعض الاحيان بكونها، أي المناهج التعليمية في العالم العربي، قمعية وبعيدة عن أسس الدمقراطية. ومن هنا جاءت سياسة الاحتواء بما يتمشى وسياسات الدول الاوروبية والغربية عامة وفي مقدمتها الولايات المتحدة، التي تريد إعادة كتابة نص الحدث التاريخي بما يتناسب وتوجهاتها السياسية عامة، وأن توفر غطاء حماية للحركة الصهيونية ومشروعها «اسرائيل» وتحييد وإقصاء القضية الفلسطينية وبالتالي إلى تمييع القضية لتتلاشى المطالب الفلسطينية والعربية معا.

لكن ما يجري على أرض الواقع هو عكس ذلك، حيث أن تمسك الفلسطيني بتاريخه مماثل لتمسكه بأرضه ووطنه وحقه في الدفاع عنه وتحقيق العودة إليه مهما طال الزمان.

إن هذا التوجه في حد ذاته هو خطوة أساسية نحو بناء وعي بالتاريخ للأجيال الحالية وللأجيال القادمة

التي ستحمل هي أيضا عبئا تاريخيا، لن تتمكن من التخلص منه، فهو ملازم لكل فلسطيني وعربي في العالم. العبء التاريخي ليس أمرا سلبيا بحد ذاته، إنما هو مسؤولية لا يمكن التنازل عنها البتة، أو وضعها جانبا والإشارة إلى التخلص منها. فالوعي مسألة مصيرية في غاية الأهمية للفرد وللجماعة على حد سواء.

ولا يمكن لشعب أن يخطو إلى الأمام ما دام أفراده لا يملكون من الوعي بالذات شيئا. على الشعب أن يعي مكانته التاريخية ووجوده وما يجري من حوله وبالتالي أن يشارك الآخرين بما يفكر به، إذ هكذا يُصنع التاريخ. معنى ذلك أن صناعة الحدث ناجمة من حراك ذاتي وجماعي معا، فالحراك هو أساس المبادرة نحو صنع الحدث، وألا يكون الفرد أو الجماعة على أهبة الانتظار لرد الفعل فقط. أي السير نحو فعل الحدث وليس رد فعل على الحدث. هذا ما يجب أن يبنيه العربي لمسيرة حياته.

إن وعي الفرد العربي عامة والفلسطيني خاصة لتاريخه وتطورات حياته ومكونات حياته، يدفعه إلى فهم أسس حياته اليومية. وهذا الوعي هو في حد ذاته عبارة عن دراسة ذاتية لبنيته وتحركاته دون الاعتماد على دراسات أخرى خارجية.

تقودنا هذه الطروحات والتوجهات نحو التركيز على فهم جوانب اجتماعية وثقافية تركت أثرها على بُنية المجتمع المدني الفلسطيني في فترة حساسة ومصيرية للغاية رسمت مصير ومستقبل الشعب الفلسطيني، والإشارة هنا إلى فترة الاحتلال البريطاني (أو كما تسمى رسميا فترة الانتداب البريطاني على فلسطين) التي امتّدت حوالي ثلاثة عقود من الزمن.

سنعالج في هذا الكتاب نمو وتطور المجتمع الفلسطيني المدني من خلال دراسة جوانب اجتماعية وثقافية خلال الفترة الزمنية المشار إليها سابقا. ومن خلال هذه المعالجة سندرس أيضا التحولات التي حصلت على المدينة الفلسطينية في مرحلة انتقالها من الفترة التركية إلى الفترة البريطانية. وتركت هذه التحولات أثرا بالغا على مبنى المدينة الفلسطينية العمراني، وبالتالي على مجمل الخدمات التي كونها المجتمع المدني لنفسه طيلة فترة الانتداب.

لقد تأثرت المدينة الفلسطينية بالتغيرات التي طرأت عليها. وحدثت التغيرات جراء سلسلة من المشاريع التنموية والانشائية التي نفذت فيها سواء في أواخر العصر التركي أو خلال فترة الانتداب البريطاني. ومن بين المشاريع الكبرى التي لعبت دورا مركزيا في بناء مجتمع مدني متقدم ومعاصر في حيفا على سبيل المثال: مد الخط الحديدي الحجازي من سوريا إلى حيفا عبر مدينة درعا السورية، وهذا الخط ربط بين الداخل السوري والساحل الفلسطيني وبالتالي منح الحركة التجارية فرصة التطور والتقدم والازدهار. وساهم الخط الحديدي هذا في تشجيع حركة هجرة داخلية من مناطق فلسطينية مختلفة وسورية كحوران وشرقي الاردن كالسلط والكرك نحو مدينة حديثة العهد وذات أمل مستقبلي، ألا وهي حيفا.

ولم يكن مشروع الخط الحديدي بمعزل عن مشروع آخر بدأت الحكومة التركية المحلية والعامة التفكير به وهو إقامة منشأة ميناء جديدة في حيفا لتعميق النشاطات التجارية مع الخارج في اوروبا. وهذا

المشـروع سـاهم مسـاهمة كبيرة في تطوير مرافق خدمية متعددة في المدينة - حيفا - كالمتاجر والفنادق والمطاعـم والمحلات التجارية والمواقع السـياحية والمؤسسـات التعليمية والترفيهية التي بدأت تتأسـس وتنتشر.

من جهة أخرى الرؤية الانجليزية لواقع حيفا ومسـتقبلها قد التقت مع الاطماع الاستعمارية الصهيونية في جعل ميناء حيفا الحديث الذي بناه الانجليز حيث هو قائم اليوم، منفذا مركزيا للبحر وبالتالي موقع للسـيطرة على الحركة التجارية لحوض المتوسط الشرقي. وبناء عليه كثفت الوكالة اليهودية من توجيه المهاجرين اليهود إلى التوطن في حيفا وبناء مؤسسات تربوية وتعليمية ومستشفيات وأحياء سكنية كبيرة وفتح مصـانع ومشـاغل مختلفة، كل هذا من منطلق السيطرة تدريجيا على المدينة وتحويلها إلى مدينة عبرية بمركباتها الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية، وتحييد الحضـارة العربية والحياة الشـرقية عن مجمل صفة المدينة ومكوناتها.

ولكـن وبالرغم من هذه السياسـات تجاه نمو وتطور أشـكال مـن الحياة المدنية في حيفـا، فإن المجتمع الفلسـطيني المدني في حيفا وسـواها من المدن الفلسـطينية، خاصة السـاحلية كيافا، قد استفادت من موجـات الهجرة اليهودية الوافدة عليها، خاصـة وأن مجموعات كبيرة من المهاجرين اليهود أحضـرت معها مكونات مدنية غربية متقدمة مقارنة مع ما هو قائم ومعمول به في المشرق العربي.

وبالرغـم مـن تعددية التكوين الاجتماعي للمدينة الفلسـطينية السـاحلية كحيفا ويافـا، إلا أن المجتمع الفلسـطيني سـعى إلى بلورة شخصـيته المدنية والحضـارية من خـلال بناء وجه جديد مـع الاحتفاظ بالموروث التاريخي والحضـاري الفلسـطيني. وللتوضـيح. فإنني أؤمن أن الفلسطيني العائش في المدينة في تعرضـه وانكشافه لمكونات حضـارية معاصرة لم يرفضـها بل تقبلها بما يتناسب وتوجهاته الحياتية والفكرية، مع محافظته على جزء كبير من موروثه الحضـاري. وهذا ما ميز الفلسطيني المدني في تبنيه مركبات مدنية حديثة وجديدة ولكن دون التخلي عما كسبه من خبرة الماضي.

لقد تعرضت المدينة الفلسطينية الساحلية وفي مقدمتها حيفا ويافا (من خلال تطويقها بمدينة عبرية هي تل ابيب) إلى عمليات صـهينة خطيرة لمكوناتها المادية كتشويه معالمها بواسطة بناء غربي لا يمت بصلة إلى مركبات البناء الشـرقي عامة والعربي خاصة. فبُنيت أحياء جديدة خصصت للمجتمع اليهودي في حيفا، وبالتالي سعي المؤسسات اليهودية إلى توفير سلسلة من الخدمات لهذه الأحياء ابتداء من المدارس والمعاهد التعليمية بلوغا إلى المستشـفيات والشـركات وغيرها. بمعنى آخر أن المجتمع اليهودي قد اتجه نحو الاستقلالية الذاتية في كل ما له صلة بالأحياء اليهودية، مع رغبة جامحة في السيطرة على مؤسسات المدينة لتصبح المدينة - حيفا كنموذج - في قبضة اليهود بالكلية، وعندها يتحول المجتمع الفلسطيني إلى مجتمع هامشـي لا صـلة له بما يجري في المدينة لأن مفاتيح المدينة قد أصبحت بيد الجماعات اليهودية المهاجـرة. هذه السـيطرة الفعلية: الادارية والاقتصـادية من قبل اليهود على المدينة الفلسـطينية أدت إلى إضـعاف العرب وجردتهم تدريجيا من قدرتهم على توجيه المدينة لما يتناسب والأحداث التاريخية. الواقع التاريخي يشـير إلى ترابط خطوات المشـروع الصـهيوني خلال فترة الانتداب من خلال التعامل مع الانتداب كأنه غير موجود، وبناء مؤسسـات الحكـم والادارة والخدمات، وفي الوقت ذاته التعامل مع

الانتداب كأنه موجود من خلال الاستفادة مما يتوجب على الدولة المحتلة أن تقدمه للشعب الرازح تحت الاحتلال، فكانت الجاليات والجماعات اليهودية تستفيد من خدمات حكومة الانتداب لصالحها وفي كل المجالات، أي أن اليهود قد كسبوا مرتين.

لقد تميزت السياسات الانجليزية في تفضيل اليهود كأفراد وجماعة على العرب الفلسطينيين سكان فلسطين الاصليين، وهذه السياسات ساهمت كثيرا في تعميق الفجوات بين شرائح المجتمعين العربي واليهودي. وبالتالي إلى تعميق فجوة الصراعات بين هذين المجتمعين من خلال سيطرة الطرف اليهودي على موارد وثروات فلسطين عامة والتحكم بها من منطلقات استعمارية صرفة.

استفاد المجتمع اليهودي من المشاريع البريطانية الكبرى كبناء مجمع صناعي ضخم بالقرب من حيفا، فاحتكر الرأسمال اليهودي القطاعات الصناعية، خاصة الثقيلة وتلك التي تدر أرباحا كبيرة على أصحابها، بينما برز مستثمرون عرب وفلسطينيين من حيفا وخارجها أي من الدول العربية، بمبادرات لإقامة مصالح محدودة وصغيرة للغاية لتعزيز الوجود العربي في حيفا كمدينة فلسطينية تملك منفذا على البحر المتوسط.

ونتيجة لهذا الزحف الاقتصادي والرأسمالي اليهودي المدعوم أجنبيا بدأت تظهر بوادر الحركة الثورية والنضالية ضد سياسات السيطرة على مقدرات المدينة، وما حركة عز الدين القسّام سوى أحد ابرز الاجابات للسياسة القمعية والتطهيرية التي مارستها الحكومة البريطانية بضغط من التيارات الصهيونية في حيفا وعلى الصعيد القطري.

وباعتقادنا أن الثورة القسّامية انطلقت من حيفا لتؤكد بصورة غير مباشرة أن هذه المدينة تحمل في جنباتها تاريخا هاما بالنسبة للفلسطينيين، وأنها . أي حيفا . تحمل قدرة اقتصادية هائلة لدعم الاقتصاد الفلسطيني مستقبلا، وأن التفريط بها وتركها لتقع لقمة سائغة في فم الحركة الصهيونية أمر مرفوض. ولكن كانت قوة العصابات الصهيونية وعلى رأسها «الهاغاناه» متعاونة للغاية مع المؤسسة الانتدابية الحاكمة في كل ما له علاقة بتصفية أشكال المقاومة الفلسطينية في حيفا، لتكون الحركة الصهيونية قد حققت الخطوة الاولى في بناء الوطن القومي اليهودي عشية الحرب العالمية الثانية وليس بعدها، ولو بصورة غير رسمية.

سنبين في هذا البحث جوانب اجتماعية تتعلق بتركيبة المجتمع المدني في المدينة الفلسطينية خلال فترة الانتداب، ودور المجتمع الفلسطيني في صنع مبادرات اجتماعية وثقافية وحضارية لرفع مستواه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وسنقدم مجموعة كبيرة من أسماء هيئات وجمعيات ومؤسسات تعليمية واجتماعية وتربوية وثقافية وغيرها لنؤكد، ليس بكثرة هذه الأسماء إنما بنوعية عملها وطبيعته، أنها ساهمت في بناء مجتمع عصري واع ومزدهر.

إن عرض مجموعة أسماء الأعلام من شعراء وأدباء وأطباء ومهندسين ومحامين وغيرهم... هو للتأكيد أن المجتمع الفلسطيني المدني قد أدرك أهمية اللحاق بالركب الحضاري المعاصر.

إن وفرة الأسماء تشير إلى الفرص الكثيرة التي وفرتها المدينة الفلسطينية للمتعلمين وأصحاب المهن

والحرف ليعملوا فيها ويقدموا مساهمات جليلة لتطويرها ورقيها.

لم يكن هدفنا من تقديم قوائم بالأسماء لحصر الاعلام إنما كنماذج لما قدموه من مساهمات لخير المدينة ومجتمعها.

واحتضنت حيفا حركة مسرحية مباركة خلال الفترة الزمنية التي نحن بصدد التطرق إليها. إذ نشطت فيها حركة مسرحية راقية، وحضرت إليها لتقديم عروض مسرحية وغنائية كبريات الفرق المسرحية المصرية، وغنى على مسارحها وصالاتها الكبرى عظماء الفنانين العرب.

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح قاطع لمكانة المدينة الفلسطينية ودورها في خلق جيل معاصر من أبناء الشعب الفلسطيني، ومن جهة أخرى كيف أن المدينة الفلسطينية كانت ذات سمة احتضان مثقفي ومتعلمي العالم العربي الذين وفدوا إليها من كل حدب وصوب، خاصة من لبنان وسوريا ومصر وشرقي الاردن والعراق.

لم تشهد أي مدينة في العالم العربي في فترة ما بين الحربين العالميتين وبعد الثانية بقليل، حضورا عربيا متعدد التوجهات والمشارب كحيفا ويافا أيضاً.

كان الحضور العربي في المدينة الفلسطينية. خاصة الساحلية، ظاهرة متميزة وملفتة للنظر. فلم تكن المدينة الفلسطينية في منأى عما كان يجري من حولها من تغيرات، بل بالعكس تبنت هذه التغيرات وعملت جاهدة على تحسينها وتجنيدها لخدمة احتياجات سكانها العرب.

سنحاول أن نرسم في دراستنا هذه مسيرة بناء مجتمع مدني تتوفر فيه كافة الخدمات التي تميز المجتمعات المدنية الاوروبية، وسنبين أن حضارة مدنية متطورة قد سادت في هذه المدن، على أن المخطط الصهيوني التطهيري هدف في انطلاقته في عام ١٩٤٨ على تصفية المدينة الفلسطينية وتحويل سكانها إلى ريفيين بعيدين عن المدنية، والسيطرة على مقدرات المدينة العربية وتحويلها لخدمة احتياجات المدينة اليهودية التي كانت ملاصقة لها سواء في حيفا أو يافا او القدس وغيرها. فالمجتمعات اليهودية في المدن الفلسطينية عاشت كجماعات منفصلة عن المجتمع السائد فيها. بالرغم من أن المدينة هي واحدة إلا أن سكانها العرب واليهود قد عاشوا في أحياءٍ خاصة بهم، وكل واحد منها منفصل عن الآخر، أي مدينة واحدة يعيش فيها شعبان منفصلان. لم يرفض المجتمع الفلسطيني أن تعيش بينه جماعات يهودية، بل بالعكس، يشهد التاريخ الفلسطيني خاصة والعربي عامة على العيش المشترك للشعبين في مختلف المدن، حتى أن اليهود الذين عاشوا لقرون طويلة في المدن العربية عُرفوا بـ «يهود عرب». ولكن لما تولت الحركة الصهيونية تطبيق أفكارها ومشاريعها بإقامة كيان يهودي في فلسطين وفقًا لأسس الاستعمار تمت عملية فصل المجتمعات اليهودية في المدن بسلسلة من الخدمات الخاصة بالمجتمع اليهودي كي لا يحتاج إلى الخدمات العامة. بمعنى آخر فرضت القيادات اليهودية أنماطا من الحياة على المجتمع اليهودي القائم والمهاجر إلى هذه المدن. وهذا التوصيف عرفته حيفا المدينة، التي كان من المفروض أن توفر عيشا مشتركا حقيقيا مبني على شراكة عادلة.

لقد كان لحدث النكبة أثره الكبير في إحداث زعزعة على مبنى المدينة الفلسطينية بشكل عام، وخاصة

علـى حيفـا، إذ اختفت حيفـا العربية في عام ١٩٤٨ ولم يبق منها إلا بضـع مبانٍ ومجموعة صـغيرة من السـكان (ثلاثة آلاف من سـبعين الفـا تقريبا). وتحول من تبقى من سـكانها العرب إلى مجرد سـكان محاصـرين في حيـين هما وادي النسـناس والحليصـا، ولم تتوفـر لهم فرص التطور إنمـا رزحوا تحت مراقبة من قبل السلطات المحلية والقطرية.

وأخيراً نعلن أن ما سـنقدمه في الدراسـة هو نماذج لما حملته المدينة الفلسطينية من رؤى وتطلعات نحو مستقبل واعد، وما أوقعته الخطط الصهيونية من تمزيق وإبادة لهذه الرؤى.

وبناء على ما أوردناه أعلاه، فإننا نعتقد أن الشـعب الفلسـطيني القوي والصامد لن يتنازل عن حقه في العودة لبناء وطنه وتجديد شبابه، وتحصينه أمام العاتيات الوافدات من كل صوب وحدب.

نأمل أن تكون هذه الدراسـة فاتحة لسلسـلة من دراسات المدينة الفلسـطينية في عصرها المزدهر، وأن نُثبّت فكرة أن الشـعب الفلسـطيني مدني بطبيعته، ليس فقط لأن نسـبة عالية منه عاشت في المدن إنما لكونه يميل إلى الحياة المدنية بكافة مركباتها المتطورة والمعاصرة.



الفصل الأول

التحولات الديموغرافية وتأثيرها على بنية المجتمع

شـهدت مدينة حيفا تحولات كبيرة للغاية في بنيتها السـكانية في الفترة الواقعة بين ١٩١٨ و١٩٤٨. فمن مدينـة صـغيرة حتى العـام ١٩١٨ – أي نهاية الحكم العثماني على فلسـطين والـذي دام قرابة الاربعة قرون– إلى رابع مدينة من حيث عدد السكان في فلسطين مع بداية الانتداب البريطاني.

لقـد كان للتغير الكبير في المبنى السـكاني أثره الكبير على التوازن بين الجماعات السـكانية التي تؤلف المدينـة، هـذا من جهة، ومن جهـة أخرى تأثير ذلـك على البُنى الاقتصـادية والاجتماعيـة والتعليمية والوظيفية في المدينة.

شكل السكان العرب في حيفا الغالبية الساحقة من سكان حيفا الإجمالي إلى نهاية الثلاثينات من القرن العشـرين. سكنوا في أحياء خاصـة بهم امتدت على مساحة ذات شكل مستطيل من الشرق نحو الغرب، أي من الحارة الشرقية الواقعة عند سكة حديد الحجاز إلى الحارة الغربية الواقعة عند طرف الكولونية الالمانية. هذه الأحياء اخترقت المدينة القديمة داخل الأسوار التي عمّرها ظاهر العمر الزيداني (وكانت تُعرف بـ «حيفا الجديدة») في العام ١٧٦١. إضـافة إلى حيين قديمين يقعان خارج هذا المسـتطيل وهما محطة الكرمل ووادي روشميا.



بينما توطنت الجاليات اليهودية التي أخذت تقدم إلى المدينة في الأحياء الواقعة على قمم الكرمل ابتداء من الهادار، الهادار الأعلى ومركز الكرمل واحوزا ونافيه شانان وروميما، وفي حي واحد واقع على حافة البحر يحمل اسم «بات غاليم»(بنت الامواج) بالقرب من المشفى الحكومي إلى الغرب من حي الزوراء القديم (أو محطة الكرمل).

ومن الملاحظ أن عدد اليهود ارتفع بصورة ثابتة حتى الحرب العالمية الاولى، وبعدها شهدت حيفا استقطابا كبيرا للعرب واليهود، إلا أن أعداد اليهود فاقت أعداد العرب القادمين إلى المدينة. ففي حين ان العرب الذين قدموا إلى حيفا جاؤوها طلبا للعمل في اغلب الأحيان، وحافظ قسم كبير منهم على علاقته مع قريته الأم، فإن الجماعات اليهودية التي قدمت إلى حيفا جاءتها في موجتين رئيسيتين الأولى في سنوات العشرين خلال الهجرة الصهيونية الثالثة، والموجة الثانية وهي الاوسع فكانت في أعقاب وصول الحزب النازي إلى السلطة في المانيا في عام ١٩٣٣ وجراء ملاحقات النازية للجالية اليهودية في المانيا على وجه التحديد، وأيضا هجرة عائلات يهودية من مختلف أنحاء اوروبا بتشجيع من الحركة الصهيونية ومؤسساتها الفاعلة داخل الجاليات اليهودية لتشجيع وصول اليهود إلى فلسطين عامة، كجزء من المخطط الصهيوني الهادف في نهاية المطاف إلى تحقيق المشروع الصهيوني الا وهو

إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

فشكل اليهود حوالي ربع سكان حيفا حتى العام ١٩٢٢ ثم الثلث حتى عام ١٩٣١ وأكثر من النصف في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الثانية .

ويوضح لنا الجدول التالي التغيرات الديموغرافية التي حصلت في حيفا خلال فترة الانتداب:[1]

السنة	عدد العرب	عدد اليهود	المجموع الكلي	نسبة العرب
١٩٢٢	١٨٢٤٠	٦٢٣٠	٢٤٤٧٠	٧٥٪
١٩٢٨	٢٠٧١٦	٨٢٧٩	٢٨٩٩٥	٧١٪
١٩٣١	٣٤١٤٨	١٥٩٢٣	٥٠٠٧١	٦٨٪
١٩٣٥	٣٧٣٠٦	١٨٦٤٦	٥٥٩٥٢	٦٦٪
١٩٣٩	٤٢٣١٥	٢٢٧٠٧	٦٥٠٢٢	٦٥٪
١٩٤٤	٦٢٨٠٠	٦٦٠٠٠	١٢٨٨٠٠	٤٦٪

كانت حركة الهجرة إلى حيفا قوية جداً في فترة الانتداب البريطاني للجماعتين القوميتين العربية واليهودية. بحيث أن كل جماعة اعتمدت على مصادر مختلفة في تزويد حيفا بالسكان. فالعرب اعتمدوا على هجرة داخلية في الأساس، وهي عبارة عن حركة تنقل طبيعية كانت تشهدها المدن العربية ليس فقط في فلسطين بل في كل أنحاء المشرق العربي، إضافة إلى هجرة بنسبة قد لا تتجاوز ١٠٪ ممن هاجروا إلى فلسطين من البلدان العربية المجاورة، خاصة من لبنان وسوريا (حصرا من منطقة حوران) ومن شرقي الاردن وقلة من مصر والعراق، وهؤلاء قدموا- كما ذكرنا- بسبب تحول حيفا إلى احد اهم المراكز الصناعية في الشرق الاوسط، إضافة إلى إقامة الميناء فيها في مطلع الثلاثينات والمجمعات الصناعية والتجارية الكبيرة التي استقطبت آلاف الأيدي العاملة. أما الهجرة اليهودية فلم تكن من فلسطين ذاتها أو من البلدان العربية المجاورة، إنما من اوروبا، وخاصة اوروبا الغربية. وتناسبت التطورات الاقتصادية في حيفا مع تطلعات ومعطيات المهاجرين ذوي الخبرات الاقتصادية والصناعية والمصرفية في اوروبا، إضافة إلى اسباب سياسية وقومية مرتبطة بملاحقات النازية في المانيا وغيرها من الدول الاوروبية.

وعلينا الاشارة هنا إلى أن العرب لم يتمكنوا من الحفاظ على تفوقهم العددي في حيفا مع مرور الزمن، وخاصة في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث تدفقت جموع المهاجرين اليهود إلى المدينة بالآلاف. وكان للزيادة السكانية اليهودية أثر كبير للغاية على مبنى المدينة من كافة النواحي، فإنهم قد تغلغلوا في المؤسسات الحكومية والدوائر الرسمية وتبوأوا أعلى المناصب، خاصة مناصب المفتاح والقرار. أضف إلى ذلك أن الجماعة السكانية اليهودية قد أدارت شؤونها الخاصة بها وبأحيائها بصورة

---

١ يمكن مراجعة كتاب مي صيقلي، حيفا العربية ١٩١٨-١٩٣٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٧. وتورد صيقلي في دراستها جدولين مقتبسين من منشورات حكومة فلسطين الانتدابية لعامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ في ص ٦٨. ويورد حسين اغبارية في كتابه. حيفا، التاريخ والذاكرة، إصدار جمعية التطوير الاجتماعي، حيفا، ٢٠٠١، جدولا احصائيا تفصيليا للتطور السكاني في حيفا من الربع الأخير للقرن التاسع عشر وحتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين. (راجع ص ص ٢٤٢ -٢٤٤).

منفصلة عن البلدية في اغلب الأحيان وكذلك عن مؤسسات الحكومة، خاصة المؤسسات التعليمية التي نالت استقلالا ذاتيا (اتونوميا) واسعا للغاية، حيث أن حكومة الانتداب البريطاني قد اعترفت بنفوذ وامتيازات اللجنة القومية اليهودية (هفاعاد هلئومي). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التفوق السكاني لليهود في المدينة دفعهم إلى بسط السيطرة على البلدية وادارة شؤون المدينة وفق اعتباراتهم مدينة يهودية منذ العام ١٩٤٠ حين تم تعيين شبتاي ليفي رئيسا للبلدية خلفا لحسن شكري الذي توفى في العام ذاته. أي بدأت القيادات الصهيونية تعتبر حيفا مدينة يهودية، وأن المجتمع اليهودي فيها هو الذي يجب أن يكون سائدا. وهذا بالطبع يندرج ضمن خطة عامة لتهويد المدن الفلسطينية الرئيسية، بما فيها، بل في مقدمتها حيفا لما تمتعت به من مكانة جغرافية استراتيجية واقتصادية بفعل انتشار المجمعات الصناعية الكبرى فيها الميناء الجديد.

وبهذا يكون اليهود قد حققوا تفوقهم العددي والوظيفي في المدينة إضافة إلى وجود مؤسسات ادارية لبعض الاحياء منفصلة عن البلدية ، كما كان الحال في حي هادار – الكرمل.

حظيت الجماعة السكانية اليهودية بظروف سكنية افضل من تلك التي كانت لدى الجماعة السكانية العربية في المدينة، فالأحياء العربية كانت قديمة في معظمها ومكتظة ومتراصة وقريبة من بعضها البعض ومنتشرة في منطقة ضيقة من قطاع الساحل، بينما تمتعت الأحياء اليهودية بتفوق جغرافي – سيمنحها فيما بعد تفوقًا استراتيجي-عسكري خلال احداث سقوط حيفا في نيسان ١٩٤٨- وامكانية توسع وانتشار على قطاع جغرافي واسع جداً.

امتلكت الجماعة اليهودية قوة اقتصادية هائلة ساعدتها في تدبير شؤونها وأحوالها الاقتصادية مدعومة من السلطات البريطانية التي رأت بهذه الجماعة قوة مستقبلية تتجاوب مع تطلعاتها الاستعمارية والتوسعية في منطقة الشرق الاوسط، فجاء الدعم الاقتصادي من خلال تسهيل مبادرات صناعية وتنظيمية قام اليهود بالسيطرة عليها أو ادارتها، وبالتالي سيطرتهم على الوظائف المركزية اتاحت لهم الفرص لتوظيف أبناء جماعتهم. بالمقابل تعرضت الجماعة السكانية العربية في المدينة إلى تراجع في دورها الوظيفي الاداري والتنظيمي، فالوظائف الصغيرة التي لا تفسح المجال أمام تطور ابناءها كانت من نصيبهم وبالتالي توجهت جماعات كثيرة من العرب إلى العمل في القطاعات الخدماتية وذات الصفة الشاقة والصعبة، والتي لا تساهم في بلورة شكل المدينة ومستقبلها، أو في بناء مجتمع مديني معاصر بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ومضمون.

ان التراجع في المركب الديموغرافي العربي لحيفا قبل وقوع النكبة في العام ١٩٤٨ كانت له انعكاسات سلبية على وضعية ومكانة المجتمع المدني الفلسطيني، إذ كان يؤمل من المجتمع العربي في حيفا ان يكون مجتمعا عربيا فلسطينيا حديثا ومتطورا ورياديا للمجتمع الفلسطيني عامة وفي كافة مناحي الحياة، إلا أن هذا الامل سرعان ما تبدد أمام خطط الحكومة الانتدابية البريطانية التي تبنت – ولو بصورة غير رسمية وغير معلنة- جعل حيفا موقعا لاستيعاب الهجرة اليهودية الشرعية وغير الشرعية إلى فلسطين.



الفصل الثاني

المعالم الدينية وانعكاس دورها على حياة المجتمع

تميز المجتمع العربي الفلسطيني في حيفا – وما يزال – بتعدد طوائفه الدينية التي تضفي على المدينة اجواء من التعاون والعيش المشترك والمحبة. وكانت خلال فترة الانتداب البريطاني احياء خاصة لعدد من الطوائف، وأحياء مختلطة منتشرة في المدينة .

وتوزع المسلمون – كما أشرنا- في عدة أحياء، مثل الحليصا ووادي الصليب والمنطقة الشرقية من المدينة، وعدد من العائلات سكنت في حي وادي النسناس وعباس. أما الذين سكنوا في الكبابير فإنهم اعتبروا أنفسهم غير تابعين للمدينة، لكون الكبابير اعتبرت قرية ولها مختار مستقل من أبنائها مُعين رسميا من قبل الحكومة الإنتدابية. أما اليوم فقرية الكبابير تحولت إلى حي صغير تابع لمنطقة نفوذ بلدية حيفا بعد توسع حيفا وابتلاعها للحي المذكور.

أما المسيحيون فسكنوا في المنطقة الغربية من المدينة، أي على امتداد حي الزيتون (اللنبي اليوم)، ووادي النسناس ومحطة الكرمل وعباس وشارع الكرمة ووادي الجمال (وهو حي في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة بدأت تسكنه عائلات عربية في فترة الانتداب البريطاني)، وفي حارة الكنائس في البلدة القديمة.



وأقامت كل طائفة مؤسساتها الدينية والتربوية والاجتماعية الخاصة بها لتؤدي خدمات للمنتمين إليها من أبناء المدينة والقرى المحيطة بها .

وتجمعت المؤسسات في مراكز المدينة في غالبيتها، وقليل منها في الأحياء السكنية البعيدة عن المراكز.

اقام المسلمون خمسة مساجد في المدينة ما تزال تقدم الخدمات الدينية إلى يومنا هذا رغم ما مر عليها من أحوال صعبة وما لحقها من أضرار وتغييرات، وهي:

أ. **«الجامع الصغير» أو «جامع النصر»**: وهو أقدم جامع في حيفا بناه ظاهر العمر الزيداني عام ١٧٦١، عندما شرع ببناء حيفا الجديدة. وأطلق عليه عامة المسلمين «جامع السوق»، لقربه من السوق القديم للمدينة. وأوقفت للمسجد عدة دكاكين ومحلات يعود ريعها للمسجد وللعائلات المحتاجة. وهذا المسجد مسجل في الطابو كوقف اسلامي، فقطعة الارض القائم عليها تحمل رقم ١٠٨٤٢ قسيمة ٥٥. بالإضافة إلى قسيمة رقم ٥٦ في نفس القطعة ومساحتها ٥٥ متراً مربعاً وتعرف بـ«حوش الحكيم»، والقسيمة رقم ١١٠ في نفس القطعة وهي ارض خالية تدعى زقاق السياط. وعين فوزي تمساح مديرا وجابيا لأملاك وقف الجامع الصغير، وجاء التعيين من قبل المجلس الشرعي

الاسلامي الأعلى الذي كان مكلفا بإدارة الاوقاف الاسلامية في عهد الانتداب البريطاني .

واستخدمت بعض الغرف المجاورة للجامع منذ نهاية القرن التاسع عشر مدرسة للتعليم تحت اسم «المكتب الرشدي». وذكر العلامة الفلسطيني عبدالله مخلص انه بدأ دراسته في هذا المكتب. وانه بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أعيدت المدرسة إلى الجامع وبنيت عليها بعض المخازن.[1]

وبقي الجامع الصغير يقدم خدماته الدينية حتى نهاية الانتداب البريطاني وسقوط حيفا بيد قوات الهاغاناه، حيث تم تهجير معظم سكان حيفا العرب فأهمل الجامع واستعمل من قبل افراد لغايات غير اخلاقية. إلى أن بادرت الحركة الاسلامية في حيفا وبدعم من جمعية الاقصى لحفظ المقدسات بترميم ما تبقى من مبنى الجامع، وكان ذلك في عام ٢٠٠٢.

ب. **جامع الجرينة او الجامع الكبير:** يقع هذا الجامع عند الطرف الشمالي الشرقي لحيفا القديمة. وبالتحديد عند حافة البحر الذي كانت تصل مياهه حتى طرف شارع يافا قبل إنشاء ميناء حيفا (في مطلع الثلاثينات من القرن المنصرم). أما أصل التسمية فيعود لوجود «الجرين» في موقع الجامع أو إلى جواره. والجرين هو البيدر الذي استخدم لتنقية القمح وذره في الهواء. أو لأن موقع الجامع في منخفض مقارنة مع بقية المواقع في حيفا، فهو يشبه الجرن، وتصغيره «جرين». ومبنى الجامع رحب وواسع وتحيط به ساحة كبيرة. وبني هذا الجامع في اواخر العهد العثماني. وشيدت هيئة بلدية حيفا برجا تعلوه ساعة إحياء لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على عرش السلطنة العثمانية. واعتبر برج الساعة هذا من اعلى مباني مدينة حيفا في العهد العثماني، وكان بالامكان رؤية ساعته من محطة سكة حديد الحجاز إلى الشرق، وايضا كان بإمكان رواد الحسبة والدوائر الحكومية معرفة الزمن من خلال رؤية هذه الساعة. وكانت لهذا الجامع مئذنة تعرضت لقصف شديد من مدفعية الهاغاناه فسقطت ولم تعمر من جديد. وعرف هذا الجامع ايضا بـ «الجامع الغربي» لوقوعه غربي جامع النصر (الصغير). وعين الشيخ سليمان إماما ومتوليا على الاوقاف الخاصة بالجامع منذ تعميره. وانتقلت هذه الوظيفة بالوراثة فعرفت العائلة بـ «الخطيب» لشغلها منصب الخطابة في الجامع. وما زال احد شوارع حيفا القديمة يحمل اسم هذه العائلة التي لعبت دورا دينيا واجتماعيا في المدينة خلال عهدي الاتراك والانتداب .

ج. **جامع الاستقلال:** ويقع عند البوابة الشرقية لحيفا الجديدة (هكذا كانت تعرف) التي بناها ظاهر العمر وأصبحت تُعرف مع مرور السنوات بـ «حيفا القديمة». وبني هذا الجامع بين عامي ١٩٢٣و١٩٢٤، وعُرف بـ «جامع الاستقلال» تيمنا باستقلال العرب المنشود وغير المحقق. وبذل جهد كبير في عملية بناء الجامع بشكل هندسي جميل تحيط به محلات تجارية ومخازن يعود ريعها للإنفاق على صيانة الجامع والمرافق الملحقة به.

وكانت قد تشكلت لجنة خاصة عرفت باسم «لجنة اعمار جامع الاستقلال» وترئسها الشيخ محمد مراد مفتي حيفا، ومن بين أعضاءها شخصيات مرموقة في حيفا وهي: عبدالله ابو يونس، وخليل طه، وعبد الرحمن الحاج.

---

١ كامل العسلي. تراث فلسطين في كتابات عبدالله مخلص. منشورات الكرمل ـ صامد. عمان. الأردن. ١٩٨٦. ص١٢.

وتولى الخطابة والتدريس في هذا الجامع والمدرسة القريبة منه الشيخ عز الدين القسّام منذ تأسيس الجامع (١٩٢٤) إلى استشهاده (١٩٣٥)، ثم تولى الامامة من بعده شقيقه فخر الدين القسّام وبقي في منصبه هذا حتى وقوع نكبة حيفا (١٩٤٨).

وشهد هذا الجامع حركة دينية وتعليمية وسياسية واجتماعية نشطة في سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. فمنه كانت تنطلق المظاهرات والمسيرات المناهضة لسياسة الحكومة الانتدابية والحركة الصهيونية. وتعرض الجامع إلى بعض الضرر في اقسام منه أثناء معارك ١٩٤٨، إلا أن الهيئة المُكلفة برعايته قامت بترميمه واعادت فتحه لخدمة المسلمين.

د. **جامع الحاج عبدالله:** ويقع هذا الجامع في حي الحليصا شرقي حيفا. بناه الحاج عبدالله أبو يونس على نفقته الخاصة. والمبنى مكون من طابقين، بحيث جُعل الطابق الأرضي مدرسة صغيرة لخدمة أبناء الحي والطابق الثاني جامعا للصلاة.

وأنفق بانيه من ماله الخاص على الجامع والمدرسة، ثم تولت دائرة الاوقاف الاسلامية رعايته بعد سفر الحاج عبدالله إلى دمشق في عام ١٩٣٧. وتعرض الجامع إلى خراب وضرر كبيرين خلال معارك حيفا، خاصة وان قوات من الهاغاناه صوبت مدفعيتها نحو حي الحليصا من جهة الحي اليهودي في نافيه شأنان الذي يقع على مرتفع مقابل الحليصا، مما جعل الجامع هدفا سهلا للمدفعية المذكورة. إلا أن همم الشباب المسلم في سنوات الثمانينات ساهمت بإعادة ترميمه وإعادة فتحه للصلاة.

هـ. **جامع سيدنا محمود للجماعة الاحمدية:** ويقع هذا الجامع في حي الكبابير. الجامع القديم بني في عام ١٩٣١. أما الجامع الحالي فتم الفراغ من بنائه في العام ١٩٧٩.

و. **مقام ومزار الخضر:** ويقع في الجهة الجنوبية لحيفا. وهو مقام بوقفية اسلامية أشرفت على خدمته عائلة الحاج ابراهيم (ومن ابرز افرادها رشيد الحاج ابراهيم السياسي البارز في حيفا زمن الانتداب البريطاني) ثم تولت عائلة الشيخ حسن خدمة المقام. ووضعت الحكومة الاسرائيلية يدها على هذا المقام وجعلته مزارا لليهود، مع السماح للمسلمين والدروز بزيارته دون إدارته.

ز. **المقابر الاسلامية:** للمسلمين عدة مقابر في حيفا، القديم منها والجديد. فالمقبرة القديمة هي مقبرة الاستقلال وتنقسم إلى قسمين في محيط جامع الاستقلال. ومقبرة البكوات وموظفي السكة بالقرب من مكاتب سكة حديد الحجاز، إلى الشرق من جامع الاستقلال. والمقبرة الجديدة في كفار سمير غربي المدينة، والتي بدأ استخدامها في مطلع الستينات من القرن الماضي.

***

أما المؤسسات الدينية المسيحية فتتبع لطوائف مسيحية كثيرة منتشرة في أنحاء المدينة. وما زالت معظم الكنائس والأديرة التي نشطت في فترة الانتداب البريطاني تعمل لخدمة المجتمع.

لكل طائفة مسيحية في حيفا كنيسة أو أكثر على النحو التالي:

أ. طائفة الروم الكاثوليك:

- «كاتدرائية السيدة»: وتقع داخل أسوار حيفا الجديدة التي عمرها ظاهر العمر الزيداني. بناها المطران يوسف سيور (البطريرك غريغوريوس الثاني) وافتتحت في عهد المطران اغابيوس دوماني عام ١٨٦٢. وأقيم الى جوارها دير للرهبان المخلصيين ومدرسة. واعتبرت هذه الكنيسة مركز حياة أبناء هذه الطائفة لكونها تقع في موقع هام من المدينة. وكان فيها مقر مطران الطائفة (انتقل في عام ١٩٢٦ الى شارع اللنبي رقم ٣٤). إلا أنها بدأت تفقد دورها في اعقاب انتشار ابناء الروم االكاثوليك في مناطق حيفا الغربية، أي خارج الاسوار، وإقامة كنائس اخرى لهم، منها كنيسة مار الياس في شارع عين دور. ولعبت الكنيسة دورا انسانيا كبيرا في معارك حيفا عام ١٩٤٨ حيث لجأت إليها مئات من العائلات العربية هربا من قصف وهجمات قوات الهاغاناه. إلا أنها بعد انتهاء المعارك وجلاء الامور اغلقت لفراغ حيفا القديمة (التي كانت تعرف بالجديدة) من سكانها اثر تهجيرهم منها. وتحولت الى وكر للممارسات غير الاخلاقية، إلى ان بادر المرحوم كميل شحادة وزوجته وعدد من الشباب في المدينة وانقذوا الكنيسة والمباني التي بجوارها وأقاموا مؤسسة «بيت النعمة» لخدمة الأسير والمحتاج وكل من هو في ضائقة.

- «كنيسة مار الياس»: وتقع في شارع عين دور. بُنيت في سنوات العشرين من القرن الماضي. وجاء قرار بناءها في أعقاب توسع المدينة غربا، وخاصة ان عددا كبيرا من أبناء الطائفة اقام بيوتا ومحلات في هذه المنطقة (الغربية)، فرأى المطران غريغوريوس حجار ضرورة توفير الخدمات الدينية لأبناء رعيته، فشرع ببنائها. وتعتبر هذه الكنيسة اليوم مقر كرسي مطران الطائفة، أي الكنيسة المركزية. وهي تقدم كل الخدمات الدينية لأبنائها إضافة إلى مجموعة من النشاطات الاجتماعية والثقافية. أمّا مطران الطائفة فيقيم اليوم في بيت خاص به في شارع الكرمة (هجيفن).

- «كنيسة الملاك جبرائيل»: وتقع في حي محطة الكرمل، بناها جبرائيل (جبران) فؤاد سعد احد أثرياء الطائفة والمدينة على نفقته الخاصة بعد أن توجه إليه المطران حجار طالبا منه مد يد العون في إقامتها. وقدمت هذه الكنيسة خدمات دينية لأبناء الطائفة إلى مطلع سنوات الستين من القرن الماضي. وتعرضت الكنيسة إلى إهمال في أعقاب ذلك إلى أن تم ترميمها وإعادة افتتاحها من جديد في العام ٢٠٠٢. وكان إلى جوار هذه الكنيسة مدرسة صغيرة خدمت أبناء الحي عامة في فترة الانتداب البريطاني، واشرف على ادارتها الآباء المخلصيون المكلفون بخدمة الكنيسة ايضا.

- «كنيسة القديس غريغوريوس»: وتقع في حي وادي الجمال عند شاطىء البحر. بناها المطران حجار وتحمل اسمه. وتم الفراغ من بناءها في عام ١٩٢٥ لتقدم خدمات دينية لأبناء الطائفة القاطنين في هذا الحي السكني حتى يومنا هذا.

- « كنيسة المخلص»: وهي عبارة عن بيت خاص يعود الى عائلة الاب باسيليوس خوري، قدمته العائلة في سنوات الثلاثين من القرن الماضي لخدمة ابناء الطائفة في حي وادي النسناس والجوار.

وبيعت الكنيسة في الستينات الى المحامي جميل شلهوب.

ب. **طائفة الروم الارثوذوكس:**

- **« كنيسة مار الياس»:** وتقع في حارة الكنائس داخل اسوار حيفا الجديدة (القديمة). أُقيمت في منتصف القرن التاسع عشر بمبادرة أبناء الطائفة وشارك في الإنفاق على عملية بنائها خليل الصيقلي وافراد عائلته، ومدفنهم خلف الكنيسة. وتعرضت إلى حريق في اواخر القرن ذاته. الا انها رممت من جديد. وما زالت هذه الكنيسة الوحيدة التابعة لهذه الطائفة تقدم خدماتها الدينية. وشرعت الطائفة ببناء كنيسة جديدة تحمل اسم «يوحنا المعمدان» في شارع اللنبي، ومتوقع ان تباشر خدماتها في منتصف عام ٢٠٠٩. ويشرف المجلس الملي الارثوذكسي على إدارة شؤون الكنيسة وتصريف أمورها وبقية ممتلكات وعقارات الطائفة في حيفا، ومن أبرزها اليوم الكلية الارثوذكسية العربية.

ج. **طائفة الموارنة:**

- **«كنيسة مار لويس»:** وتقع خارج اسوار مدينة حيفا الجديدة. بُنيت في أواخر القرن التاسع عشر بتبرع من عائلة الثري سليم خوري. اذ تبرع بالأرض لإقامة الكنيسة عليها، وايضا صرف بعض المال على عملية البناء. وما زالت هذه الكنيسة تقدم الخدمات الدينية لأبناء الطائفة، إضافة إلى خدمات اجتماعية وثقافية اخرى. ولا يوجد للطائفة كنيسة اخرى في المدينة .

د. **طائفة اللاتين:**

- **«كنيسة مريم العذراء»:** وهي واقعة في البلدة القديمة بالقرب من ساحة الخمرة (الحناطير) أو باريس اليوم. وبنيت في القرن التاسع عشر. وكانت تستعمل حتى منتصف الخمسينات من القرن الماضي عندما تم بناء كنيسة جديدة للطائفة في شارع الملك جورج الخامس (همجينيم حاليا). كانت كنيسة العذراء محور خدمات الطائفة الدينية التي يشرف عليها الرهبان الكرمليين ولهم مؤسسات اخرى في المدينة سنأتي على ذكرها فيما بعد.

هـ. **طائفة الارمن:**

- **الكنيسة الارمنية:** وتقع في شارع الخوري. وهذه الطائفة قليلة العدد حاليا، رغم أنها كانت كبيرة في عهد الانتداب البريطاني. وقدم معظم أبناءها من ارمينيا في اعقاب المذابح التي نفذتها الحكومات التركية ضدهم اثناء الحكم العثماني. ولقد هاجرت عشرات من العائلات الارمنية عائدة إلى ارمينيا في اعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وايضا في اعقاب معارك حيفا في عام ١٩٤٨. عدد من العائلات الارمنية هاجر إلى لبنان حيث يوجد مركز كبير لهذه الطائفة. وكانت البطريريكة الارمنية في القدس وما زالت توفد كاهنا من القدس لخدمة أبناء هذه الطائفة .

وعلينا الإشارة هنا إلى أن الطائفة الارمنية ليست عربية، إلا أنّ أبناءها عاشوا ويعيشون في المجتمع العربي كجزء منه، محتفظين بمقوماتهم القومية والثقافية والاجتماعية واللغوية. ولكننا ارتأينا إدراجها

في عرضنا هذا من منطلق مشاركتهم لحياة المجتمع العربي، وكون المجتمع العربي قد فتح ذراعيه لاحتضان أبناء هذه الطائفة الكريمة في أوقات الشدة.

و. الطائفة البروتستانتية (الكنيسة الانجيلية الاسقفية):

- **«كنيسة مار يوحنا الانجيلي»**: وتقع في شارع مار يوحنا في حي وادي النسناس. وأُقيمت في نهاية العشرينات من القرن الماضي. وشهدت هذه الكنيسة نشاطا واسعا أثناء العهد الانتدابي لكون أعضاء كثر من الانجليز الذين عملوا في الحكومة البريطانية والخدمات الأخرى انتموا إلى هذه الطائفة. وأقيمت إلى جانب الكنيسة مدرسة ابتدائية ساهمت مساهمة جليلة في تثقيف أبناء المدينة وآخرين من خارجها على مدار عقود طويلة، وما تزال تعمل على تأدية هذه الرسالة إلى يومنا هذا.
- **«كنيسة سانت لوكس (مار لوقا)»**: وتقع في شارع سانت لوكس بالقرب من شارع الجبل، عند الطرف الغربي لحي وادي النسناس. وهي كنيسة صغيرة كانت مرفقة لخدمة المستشفى الاسكتلندي القائم إلى جوارها، إضافة إلى بيت قس الطائفة. وما زالت الكنيسة موجودة، وتقدم الخدمة الدينية في أوقات وحالات خاصة.

وتكثر في حيفا الأديرة، ومنها ما هو دير فقط، ومنها ما هو دير ومدرسة أو روضة أطفال أو مؤسسة لخدمة شريحة معينة من المجتمع الحيفاوي. معظم الأديرة والمدارس المرفقة بها ما زالت تعمل.

والأديرة هي:

- **دير ومدرسة راهبات الناصرة**: الواقع في شارع عباس.
- **دير ومدرسة الراهبات الكرمليات**: الواقع في شارع الطليان.
- **دير وروضات القديسة حنة**: في شارع مئير (المستشفى سابقاً).
- **دير راهبات القديس تشارلز**: في شارع يافا وزاوية شارع مئير (المستشفى سابقاً)، وكان في هذا الدير مستشفى او بالأحرى مستوصف صغير لخدمة المجتمع في حيفا. واغلق المستشفى في اعقاب ١٩٤٨، وما زال الدير قائما والى جانبه منزل سكني لطالبات الجامعة ومعاهد التدريس العليا في حيفا.
- **دير قلب يسوع الاقدس (راهبات المحبة)**: الواقع في شارع اللنبي، وكانت فيه مدرسة في العهد الانتدابي، إلا أنها أغلقت. وتم افتتاح مؤسسة للمعوقين. ينضوي تحت سقف هذه المؤسسة عدد كبير من الاطفال المعوقين من كافة شرائح المجتمع من حيفا وخارجها.
- **دير ستيلا مارس (دير مار الياس)**: الواقع على قمة جبل مار الياس. كانت فيه مدرسة لتدريس اللاهوت، إلا أنها أغلقت. وفيه نزل صغير لخدمة الحجاج، وفيه مزار للنبي الياس يؤمه مسيحيون من مختلف أنحاء البلاد. وكانوا يأتون اليه من البلدان المجاورة قبل العام ١٩٤٨،

وخاصة في موسم عيد هذا النبي في العشرين من تموز، حيث يقضي المصلون وعائلاتهم اياما طويلة تصل إلى اسبوعين في رحاب الدير والاحراش المحيطة به.

- **دير القديسة حنة:** في شارع البرج، وكانت الرهبنة الكرملية قد اشترته من احد وجهاء المدينة وحولته إلى دير في مطلع القرن العشرين. وسكنته بعض العائلات بعد عام ١٩٤٨. إلا انه اليوم مغلق ويحتاج إلى ترميم.

- **دير الراهبات الكرمليات (الزوراء):** في منطقة الزوراء عند طرف حي بات غاليم اليهودي حيث يقع مستشفى الحكومة (رامبام)، وكانت فيه مدرسة تحمل اسم «مدرسة الزوراء». أغلقت في الستينات وتم بيع الدير لإدارة المستشفى فتحول ليكون جزءا من مبانيه.

- **دير الراهبات الكرمليات الحبيسات:** ويقع في زاوية شارع الجبل عند طرف الكرمل الفرنسي. والدير مخصص للراهبات اللواتي ترغبن في الانقطاع عن الدنيا والتفرغ لعبادة الله.

- **دير وكنيسة مار الياس الروسية:** شُيد الدير والكنيسة في نهاية العهد القيصري الروسي على نفقة الجمعية القيصرية الروسية. في الدير كاهن يقوم على رعايته ويقدم الخدمة لعدد من العائلات الروسية المسيحية. ويقع في منطقة جبل الكرمل.

- **المقابر المسيحية:** كانت المقابر المسيحية في فترتي الاتراك والانتداب البريطاني خارج اسوار المدينة القديمة، منتشرة على طول شارع يافا. وبعض منها في حي محطة الكرمل. وكان لكل طائفة مقبرتها الخاصة بها. ونقلت معظم هذه المقابر بعد العام ١٩٤٨ إلى حيث هي اليوم في منطقة كفار سمير. أما مقبرتا الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس القديمتين فما تزالا قائمتين في شارع يافا. وتوقف استعمال المقابر القديمة منذ مطلع الخمسينات من القرن الماضي.

الفصل الثالث

المؤسسات التربوية التعليمية ودورها في بناء المجتمع الحيفاوي

المؤسسات التعليمية التي كانت عاملة في المجتمع العربي في حيفا مبنية من جهازين رئيسيين، التعليم الرسمي (الحكومي)، والتعليم الاهلي (الخاص).

فبالنسبة للتعليم الرسمي فإن حظ حيفا منه في أواخر العهد العثماني كان بائساً للغاية. وهذه شهادة على ذلك: «يوجد في كافة القضاء ١٢ مكتباً ابتدائياً ثلاثة منها في مركز القضاء (حيفا). وأن حالة مكتب (إشارة إلى المدرسة) النمونة (المدرسة النموذجية) للذكور مؤلمة جداً. فإن الطلاب الذين ترسلهم حيفا التي تزيد نفوسها على العشرة آلاف إلى مكتبها الرسمي الوحيد لا يتجاوز عددهم الاثنين والأربعين. وفي الوقت ذاته فإن المعلم الثاني في المكتب هو وكيل المعلم الأول وهو رجل أمضى عدة سنين في مدارس استانبول العلمية حينما كانت منحطة ثم أقام في مصر ثلاث سنين. وان من الأمور المخجلة باسم الأمّة أن تكون حالة مكتب النمونة على ما هي عليه الآن من الانحطاط بأدواته وآلاته المكسرة في زمن نهضت فيه الرقابة الأجنبية سواء كانت المانية أو يهودية نهوضاً مدهشاً فتأسست في حيفا عدة مكاتب لليهود والالمان ولسائر الدول الأجنبية بصورة متناسبة مع أهمية حيفا الموقعية... ومن العبث البحث عن مكتب الذكور الثاني الذي ضم أخيراً إلى مكتب النمونة، فمعلمه الأول من دار المعلمين، وأما



باقي المعلمين فليس بأيديهم شهادات».[1]

ويشير نفس المرجع إلى مسألة تعليم الإناث بقوله:«وللأهلين رغبة ظاهرة في مكتب الإناث الرشدي. فيزيد عدد الطالبات فيه على مائتين».[2]

هذه هي حالة التعليم الرسمي في أواخر العهد العثماني حيث سيطر الابتعاد والنفور بين أفراد المجتمع، إضافة إلى أنّ الظروف الاقتصادية كانت صعبة للغاية وسط انتشار مظاهر الجوع والقلة في المجتمعات التي خضعت للحكم العثماني، وخاصة فلسطين التي عانى فيها المجتمع الأمرين..

وكانت الحكومة العثمانية قد أصدرت قانون التعليم الرسمي في عام ١٨٦٩ وقامت الحكومة بنفسها بالإشراف على هذا التعليم حيث توزعت فيه المدارس على النحو التالي:

الأول: المدارس الابتدائية الدنيا (الاولية) - كان التعليم في هذه المرحلة إلزامياً ولمدة أربع سنوات.

الثاني: المدارس العليا (الرشدية) - أنشأتها الحكومة في المواقع التي زاد فيها عدد السكان عن ٥٠٠

١ محمد رفيق ومحمد بهجت. ولاية بيروت، القسم الجنوبي. الطبعة الثالثة ، بيروت. ١٩٨٧. (الطبعة الاولى للكتاب بالتركية صدرت في عام ١٣٢٥ للهجرة)، ص ٢٢٧.

٢ م.س، ص ٢٣٧.

بيت. وكان في كل مدرسة رشدية معلمين؛ الأول وهو الرئيسي والثاني يعرف ب «وكيل معلم».

الثالث: المدارس الثانوية الدنيا (الاعدادية) - أُقيمت في مراكز الأقضية التي تجاوز عدد بيوتها الألف. وكانت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وكان في فلسطين من هذه المدارس في القدس ونابلس وعكا.[1]

الرابع: المدارس الثانوية العليا (السلطانية) - ينخرط فيها الطلاب الذين اجتازوا امتحانات المرحلة الإعدادية بنجاح تام، ووجدت من هذا النوع من المدارس مدرسة واحدة في القدس.

الخامس: المدارس العالية - تشمل دور المعلمين والمعلمات.

أمّا في حيفا فأنشئت أوّل مدرسة حكومية - كما تفيدنا المصادر - في عام ١٨٨٦ من نوع مدرسة أولية ابتدائية رسمية، وضمت ٢٥ طالباً. أما في عام ١٨٨٩ فأُسست مدرسة رشدية بلغ عدد طلابها ٢٠ طالبا يقوم على تعليمهم معلمان.

وبلغ عدد المدارس في العهد العثماني ثلاثة مدارس. كما كان فيها قبيل الحرب العالمية الأولى عدة مدارس لبعض الدول الأجنبية تتناسب مع أهمية حيفا. فكان للفرنسيين أربع مدارس هي الفرير وراهبات المحبة وراهبات الناصرة والرابعة لليهود (القصد هنا مدرسة الاليانس). وقد ضمت هذه المدارس الأربع ٣٠ طالبة و ٥٣٠ طالباً. وكان للانجليز مدرستان بمستوى المرحلة الابتدائية ضمت ١٥٠ طالبة و٧٠ طالباً. وكان لكل من الروس والالمان مدرسة ابتدائية واحدة، وقد جمعت المدرسة الروسية ٣٠ طالبا و٥٠ طالبة ، والالمانية ٣٠ طالباً.[2]

أما في عهد الانتداب البريطاني فكان عدد المدارس على النحو التالي :

مدرسة ابتدائية وثانوية للبنين.[3] ومدرسة ابتدائية للبنات.[4] ومدرسة صناعية للبنين تم إنشاؤها في عام ١٩٣٦. وقامت الحكومة الانتدابية بالصرف عليها ضمن ميزانيتها الخاصة بالتعليم.

ومن بين المعلمين الذين عملوا في المدرسة الحكومية الابتدائية بحيفا الاستاذ عارف حجازي الذي درّس اللغة العربية، وتابع تدريسها في الصف الأول الثانوي، إلاّ أنه فتح مكتباً للمحاماة في شارع الملوك بحيفا فعزف عن التعليم، وكان ذلك في أواخر العشرينات من القرن المنصرم.[5]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المجتمع الحيفاوي لم يعتمد لا في العهد العثماني أو الانتدابي على مصدر واحد لتربية وتعليم أبناءه، فمن هنا كانت لدى هذا المجتمع جاهزية كبيرة لإقامة مدارس خاصة أو أهلية.[6] وفي

---

١ الموسوعة الفلسطينية ، التربية والتعليم، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الاول ، ص ٥٢٩.

٢ مصطفى مراد الدباغ. «التعليم في فلسطين في عهد الانتداب» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثالث، ص ٦٨.

٣ في العام الدراسي ١٩٤٢-١٩٤٣ كانت مدرسة البنين تضم ٤٦١ طالبا يعلمهم ٢١ معلماً وأعلى صفوفها الثاني ثانوي (أصبح الرابع ثانوي في أواخر عهد الانتداب). مصطفى مراد الدباغ. « التعليم في فلسطين في عهد الانتداب» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة ، المجلد الثالث، ص ٦٨.

٤ ضمت مدرسة البنات ٤٤٢ طالبة تعلمهن ١٢ معلمة وأعلى صفوفها السابع ابتدائي. راجع الدباغ، المصدر السابق .ن.ص.

٥ هارون هاشم رشيد. مدينة وشاعر - حيفا والبحيري. مطبعة دار الحياة بدمشق، ١٩٧٥. ص ٧٩ وص ٨١.

٦ يذكر جميل البحري في كتابه:تاريخ حيفا. إصدار المكتبة الوطنية في حيفا، ١٩٢٢، أن عدد المدارس في حيفا بلغ ٣٠ بين مدارس للصبيان والبنات، منها ٣ للمسلمين و١٧ للمسيحيين و١٠ لليهود. ويفيدنا أن عدد طلاب مدرسة الروم الكاثوليك التي أنشأت عام ١٩٠٤ بلغ ٢٠٠ طالباً. ص ٢٦.

الوقت ذاته هرولت عدّة مؤسسات وهيئات تبشيرية مسيحية من خلال كنائس وأديرة منتشرة في حيفا وفي أرجاء فلسطين إلى تأسيس مدارس لتعزيز وجودها في هذه المدينة الآخذة بالصعود كمدينة حديثة ومتقدمة تتجاوب مع متطلبات مدينة معاصرة وفق النمط الاوروبي. ولم تكتف هذه المؤسسات والهيئات بتأسيس مدارس لها بل شرعت في كسب الأهالي وجذبهم إلى الانضمام إلى الكنيسة (الطائفة) التي تنتمي إليها المدرسة.

ويمكننا تقسيم المدارس الأهلية أو الخاصة إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مدارس خاصة أُنشئت بمبادرة أفراد (مبادرة فردية ـ خاصة).

النوع الثاني: مدارس خاصة عربية وطنية تابعة لطوائف مسيحية وإسلامية ولا علاقة لها بمؤسسات غربية – تبشيرية.

النوع الثالث: مدارس خاصة أنشأتها مؤسسات كنسية كالأديرة وجمعيات وبعثات مسيحية أخرى.

مدارس النوع الأول:

من أشهر هذه المدارس تلك التي أسسها الأستاذ نبيه ثابت والتي تميزت بتركيزها على تعليم المواضيع العلمية كالرياضيات والفيزياء واللغتين العربية والانجليزية. وطريقة التعليم بواسطة دورات تعطى للطلاب في المواضيع المذكورة بعد انتهاء الدوام المدرسي. أي أن مدرسته لم تكن على نفس شكل المدارس المألوفة. وكان مقر المدرسة في شارع اللنبي. وكان الأهالي يرسلون أولادهم إلى هذه المدرسة في أشهر الصيف حيث العطلة الكبرى لتلقي دورات تقوية وإثراء في المواضيع المركزية.

وأيضا وجدت مدارس خاصة أخرى، منها: البرومي والسباعي والوحدة والإرشاد دون أن تتوفر لدينا معلومات إضافية أو تفصيلية بشأن معظمها.[1]

مدارس النوع الثاني:

أ. مدارس الجمعية الاسلامية في حيفا وهي:

- **مدرسة البرج الاسلامية** وكانت تقع على طرف شارع البرج في الطريق الموصل بين شارع ستانتون ودار البلدية الجديدة (حيث هي اليوم). وكانت هذه المدرسة على مستوى تعليمي جيد وأنفقت الجمعية المذكورة من ميزانيتها مبالغ كثيرة عليها. وتعاقب على إدارتها الشيخ كامل القصّاب ونجيب بليق وعبد اللطيف الحبّال واحمد كريّم. الأخير انضم إلى وزارة التربية السورية بعد أن هاجر إليها اثر النكبة في عام ١٩٤٨.[2]
- **«مدرسة الوداد»** وكانت تقع في حي وادي الصليب، وقد وصل إليها الشيخ علي السيد جعفر مبعوث الازهر الشريف إلى حيفا. وكان هذا الشيخ يلقي خطبا له من على منابر فلسطين.[3]

---

١ عبد اللطيف كنفاني. ١٥- شارع البرج – حيفا. بيسان – بيروت، ١٩٩٢. ص ٤٨.

٢ هارون هاشم رشيد. مدينة وشاعر – حيفا والبحيري. مطبعة دار الحياة. دمشق. ١٩٧٥. ص ٣٠٥ وص ٣٠٦.

٣ رشيد.م.س. ص ٢٧٩.

- **مدرسة البنات الاسلامية** .
- **مدرسة البنين الاسلامية**.

ب. **مدارس اسلامية خاصة** :

- **مدرسة البنين والبنات** – مدرسة ابتدائية مختلطة كانت تقع في حي وادي الصليب. وكانت تديرها «خجة» تميزت بقسوتها وتمسكها بالنظام بتفاصيله.[1]
- «**المدرسة العربية**» وتعرف أيضا باسم «مدرسة الشيخ محمد السباعي»، وتقع بالقرب من حمام الباشا، أي داخل أسوار البلدة القديمة.[2] واستخدمت هذه المدرسة مستشفى حمل اسم مستشفى «الامين» إثر اشتداد الأحداث في عام ١٩٤٨.

ج. **مدارس مسيحية** :

- **المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك للبنين**. وكانت في البداية إلى جانب كاتدرائية السيدة في البلدة القديمة، إلا أن المطران حجار نقلها لاحقًا إلى «حوش الكاثوليك» الواقع بين شارعي اللنبي ومار يوحنا (تسكن اليوم عدة عائلات عربية في غرف المدرسة). واعتبرت المدرسة الوطنية الخاصة الوحيدة في حيفا فيها ثانوية شاملة في نهاية عهد الانتداب.[3]
- **مدرسة محطة الكرمل** وهي تابعة للروم الكاثوليك حيث كان يشرف على التعليم فيها كهنة الطائفة مع لفيف من المعلمين. ولغة التعليم الأساسية هي العربية إضافة إلى لغات أخرى وفي مقدمتها الانجليزية والفرنسية. وهي مدرسة ابتدائية.
- **مدرسة الروم الارثوذوكس** وهي تابعة للطائفة الارثوذوكسية ويشرف عليها المجلس الملي الارثوذوكسي، وكانت قائمة إلى جوار كنيسة مار الياس الارثوذكسية في البلدة القديمة. وهي مدرسة ابتدائية.
- **مدرسة الموارنة** وكانت تقع إلى جوار كنيسة مار لويس المارونية في زقاق روبين. وهي مدرسة ابتدائية. ولغة لتدريس فيها العربية، إضافة إلى اعتماد تعليم لغات أخرى، وفي الأساس الفرنسية والانجليزية.

مدارس النوع الثالث:

أ. **مدرسة الفرير (الأخوة)**. أسسها رهبان الفرير (أخوة المدارس اليسوعية الكاثوليكية) وذلك عام١٨٨٤. وهي مدرسة للبنين فقط. وكان مبنى المدرسة ضخم ومرتب ويقع بين شارعي يافا والملك جورج الخامس (همجينيم اليوم). وانضوى تحت لواء هذه المدرسة طلاب عرب وغيرهم من الأجانب واليهود. وكان التعليم فيها بالفرنسية والانجليزية، مع التشديد عليهما كلغتين

---

١ كنفاني.م.س. ص ٤٩.

٢ رشيد.م.س. ص ٢٨٦.

٣ مصطفى مراد الدباغ. «التعليم في فلسطين في عهد الانتداب» في **الموسوعة الفلسطينية** ، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثالث، ص ٤٥.

أجنبيتين. وفي المدرسة قسم داخلي للطلاب الوافدين من خارج حيفا أو من خارج فلسطين لكون سمعة ومكانة هذه المدرسة قد وصلت إلى البلدان المجاورة، خاصة لبنان وشرقي الاردن وجنوبي سوريا. وأعلى صفوف هذه المدرسة الثالث ثانوي.[1] وأغلقت المدرسة أبوابها في مطلع الستينات من القرن الماضي، وتم توزيع طلابها على مدارس حيفا الأهلية الأخرى، خاصة مدرستي راهبات الناصرة والكرمليت اللتين تحولتا إلى مدارس مختلطة بعد أن كانت مدارس للبنات فقط .

ب. **مدرسة راهبات الناصرة:** تأسست عام ١٨٨٦ بدعم من المؤسسة الأم في فرنسا. وكانت هذه المدرسة للبنات فقط . وموقعها كان بالقرب من دير اللاتين على شاطىء البحر عند شارع يافا قبل تجفيف البحر هناك. وأعلى صفوفها الخامس ثانوي.[2] ثم انتقلت المدرسة في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي إلى شارع عباس حيث هي اليوم.

ج. **مدرسة الساليزيان:** وهي المدرسة التي أسسها الآباء الساليسيين من أتباع القديس يوحنا دون بوسكو الايطالي. وانصب اهتمام هذه المدرسة على تعليم طلابها صنعة أو مهنة تساعدهم على بناء مستقبلهم والعيش بكرامة داخل المجتمع، مع التركيز على تعليم اللغات أسوة ببقية المدارس في عهد الانتداب. وكانت المدرسة تقع في شارع الملك جورج الخامس(همجينيم اليوم) . وأغلقت المدرسة في السنة الثالثة للحرب العالمية الثانية بأمر من قائد القوات البريطانية في فلسطين بعد أن أظهرت المدرسة ميولا لتأييد موسوليني والتعاطف مع حكومته الفاشية من خلال برامج التعليم والأناشيد الفاشية التي كان الطلاب يرددونها في المدرسة وخارجها. واعلى صفوفها الخامس الثانوي .[3] أما مبنى المدرسة فيستخدم اليوم لمدرسة الكرمل بإدارة الآباء الكرمليين .

د. **مدرسة الراهبات الكرمليات (الايطاليات):** ومدرستهن إلى جانب الدير في شارع الطليان. وتأسست المدرسة في مطلع القرن العشرين. وكانت المدرسة تستقبل البنات فقط. وأعلى صفوفها الثاني الثانوي. إلا أنها بدأت تستوعب بنين في أعقاب إغلاق مدرسة الفرير المشار إليها سابقاً. وكانت لغة التدريس الرسمية هي الايطالية لكون المدرسة والدير يتبعان جمعيتهما الأم في ايطاليا، ألا أنها حالياً اللغة العربية.

ه. **مدرسة كارمل سان جوزيف:** وهي مدرسة مختلطة للبنين والبنات، وأعلى صفوفها الخامس الثانوي،[4] وتديرها الراهبات الكرمليات، وكانت تقع في المبنى الحجري(دير الراهبات) الواقع اليوم في مستشفى الحكومي (رامبام). وبقيت هذه المدرسة تقدم خدماتها حتى مطلع الستينات من القرن المنصرم. حيث أغلقت وتوزع طلابها في مدارس حيفا الأخرى .

- **مدرسة مار لوقا – سانت لوكس:** وهي مدرسة ثانوية عالية للبنين. كانت في انطلاقتها الأولية في شارع سانت لوكس بالقرب من شارع الجبل، حيث مقر عُمدة الكنيسة الانجيلية التي تتبع لها

---

١ مصطفى مراد الدباغ،» التعليم في فلسطين في عهد الانتداب« في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة ، المجلد الثالث، الملاحظة رقم(٦٠) في الحواشي، ص ٧٧.

٢ الدباغ، المصدر السابق، ن.ص.

٣ الدباغ،المصدر السابق، ن.ص.

٤ الدباغ،المصدر السابق، ن.ص.

المدرسة. وانتقلت المدرسة فيما بعد، أي في سنوات الاربعينات إلى منطقة حملت نفس الاسم – سانت لوكس- بالقرب من قرية الطيرة. واهتمت المدرسة بتدريس طلابها مهنا وصنائع مختلفة، إضافة إلى اللغات والمواضيع الأساسية، وأعلى صفوفها الخامس ثانوي.[1] وأدار المدرسة المستر سمبل المعروف الذي كان مديرا للمدرسة الاسكتلندية في صفد والتي كانت تعرف هناك باسمه لشدة تمسكه بالنظام وفرض هيبته على الطلاب والمعلمين والأهالي.[2] ولما استولت اسرائيل على معظم أرجاء البلاد في العام ١٩٤٨ أغلقت المدرسة وحولتها إلى قاعدة حربية ومعسكر للجنود ومستشفى لهم.

- **المدرسة الانجليزية العالية للبنات(English High School For Girls)**، وكانت تقع في شارع شبتاي ليفي حيث اليوم متحف حيفا. وكانت المدرسة تستقبل بنات الطائفة الانجليلية أولاً ثم بنات العائلات الميسورة من نُخب المجتمع الحيفاوي، وتميزن بزيهن الأنيق والمرتب «وكن يختلن أيما خيلاء في رواحهن ومجيئهن بزيهن الموحد ذي الثنيات والسترة الكحلية التي تحمل على جيب صدرها شعار المدرسة المطرز باللغة الانجليزية على غرار ما هو دارج في المعاهد البريطانية»[3]. وأعلى صفوفها الخامس الثانوي.[4]
- **مدرسة قلب يسوع الاقدس**: وكانت تقع في شارع اللنبي حيث دير راهبات المحبة اليوم. وأعلى صف في هذه المدرسة في عهد الانتداب البريطاني كان الثاني ثانوي.[5]

وضمت المدارس الخاصة في عام ١٩٤٢-١٩٤٣: ٣٧٠٣ طالباً و ٢٤٩٥ طالبة.[6]

أما منهج التعليم في المدارس الحكومية (الرسمية) فهو مؤسس على المنهج الرسمي الصادر عن معارف فلسطين. وكانت إدارة معارف فلسطين توفر الكتب اللازمة سواء بالانجليزية أو بالعربية لطلاب مدارسها.

أما المناهج في المدارس الثانوية فكانت تعد الطلبة لاجتياز فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية (المتريكوليشن).[7]

أما المدارس الخاصة أو الأهلية فكان بعضها يعتمد منهج المعارف، أي إعداد الطلبة لامتحان المتريكوليشن الفلسطينية وكذلك فحص جامعة لندن (لندن متريكوليشن). والبعض الآخر يعتمد برامج تعليمية مصدرها الوطن الأم للمؤسسة التي تشرف على المدرسة. مثلا المدارس التابعة لمؤسسات من أصل

---

١ الدباغ،المصدر السابق،ن.ص.

٢ عرفت هذه المدرسة في صفد باسم «الكلية الاسكتلندية» أو على اسم مديرها سمبل(Semple) ، وكانت قد تأسست في العهد العثماني، ونقلت في عام ١٩٣٦-١٩٣٧ إلى حيفا ، وذلك اثر اشتداد أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى. راجع مقالة مصطفى مراد الدباغ «التعليم في فلسطين في عهد الانتداب» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة ، المجلد الثالث، ص ٦٧.

٣ م.س. ص ٤٩.

٤ الدباغ،المصدر السابق، ن.ص.

٥ الدباغ. المصدر السابق ،الملاحظة رقم(٦٠) في ص ٧٧. وتحولت هذه المدرسة اليوم(٢٠٠٨) إلى مؤسسة للأولاد المعوقين وذوي العاهات المختلفة لرعايتهم من قبل راهبات قلب يسوع الاقدس.

٦ المصدر السابق،ص ٦٨.

٧ لمزيد من المعلومات التفصيلية حول توزيع مواضيع التدريس والساعات ينظر في الموسوعة الفلسطينية ،م.س. ن.ص.

ايطالي اعتمدت التدريس بالايطالية، والفرنسية بالفرنسية وهكذا.

ويجب التنويه هنا إلى أن هذه المدارس قد أولت تعليم اللغة العربية مكانة هامة للغاية بواسطة استقدام معلمين ذوي خبرة ومعرفة من لبنان أو من مصـر، كما فعلت مدرسـة الساليزيان بإحضارها الأب نعمة الله فرحات لتدريس اللغة العربية في مدرستها بحيفا، وهو من الضليعين في اللغة وأصولها، مما رفع من مكانة وشأن المدرسة وزاد من الطلب عليها.

ويبين الجدول التالي النسـبة المئوية لعدد الطلاب والطالبات العرب إلى عدد البنين والبنات الذين هم في سن التعليم عام ١٩٤٢-١٩٤٣:[1]

	مجموع ، عدد ونسبة الطلاب	العدد الاجمالي
١	مجموع عدد الطلاب في جميع مدارس حيفا	٤١٩٤
٢	مجموع عدد الطالبات في جميع مدارس حيفا	٢٩٣٧
٣	عدد البنين في سن التعليم من سن ٥ إلى ١٥ في حيفا	٧٠٠٠
٤	عدد البنات في سن التعليم من سن ٥ إلى ١٥ في حيفا	٦٥٥٠
٥	النسبة المئوية لعدد الطلاب إلى عدد البنين في سن التعليم	٪٦٠
٦	النسبة المئوية لعدد الطالبات إلى عدد البنات في سن التعليم	٪٤٥

يمكننا أن نُدرك من خلال مراجعة الجدول أعلاه أن نسبة عالية من أبناء المجتمع العربي الحيفاوي في شـريحة سـنية معينة كانت تتلقى تعليما في إحدى مدارس حيفا. ونسـبة البنات مرتفعة مقارنة مع بقية المدن سـواء في فلسـطين أو خارجها، وهذا مؤشر ايجابي يؤكد إدراك ووعي أهالي البنات بضرورة تلقي بناتهن قسطا وفيرا من العلم والثقافة.

١ نقلا عن الدباغ، المصدر السابق، ص ٦٨.



الفصل الرابع

حيفا، مركز الصحافة العربية الفلسطينية

تميزت حيفا عن سواها من المدن الفلسطينية بوفرة الصحف على مختلف أنواعها. وتمتعت بقسط كبير من حرية العمل الصحفي منذ إعلان العمل مجددا بالدستور العثماني في اعقاب ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨، وهو العام الذي ولدت فيه حركة الصحافة العربية في حيفا.

وعلينا الإشارة هنا إلى أن عددا من الصحف تم تأسيسه في حيفا، وقسم منها انتقل من مدن أُخرى إليها سواء من داخل فلسطين أو من خارجها، كما سنأتي على ذكر ذلك لاحقاً.

وطرحت الصحف توجهاتها الفكرية والسياسية بحذر ما خلال الفترة الاخيرة من الحكم العثماني، إلا أنها - أي الصحف - تنفست الصعداء بعد زوال الحكم المذكور وتمتعت بحرية أوسع جرّاء تحول الحكم إلى الانجليز الذين لم يمانعوا من التعددية في الأفكار او توجيه االانتقادات لسياساتهم سواء في فلسطين او خارجها.

وتمحور النشاط الصحفي في نقل الاخبار والمقالات والتعليقات والمعلومات الادبية والاجتماعية وغيرها. ووجهت معظم الصحف الفلسطينية الصادرة في حيفا مواضيعها حول الصراع مع الصهيونية ومسألة الاراضي والهجرة الصهيونية الواسعة سواء الموافق عليها من قبل الحكومة الانتدابية أو غير الموافق



عليها والتي تعرف بالهجرة غير الشرعية .

وكانت الصحافة العربية الفلسطينية في حيفا يقظة في كثير من القضايا المطروحة على ساحة النقاش والبحث، وخاصة ما له علاقة بالشأن السياسي.

وخاضت الصحافة العربية في حيفا لأول مرة تجربة مواجهة الفكر الصهيوني الذي بدأ يأخذ مناحي مستقلة اداريا وسياسيا واجتماعيا وفكريا خلال العهد الانتدابي، وايضاً فإن هذه الصحافة الفتية كانت بحاجة إلى من يكتب فيها، فالعمل فيها تمركز حول المحرر وعدد محدود من الكتبة والمراسلين. ولم يكن بإمكان الصحافة العربية الفلسطينية في حيفا أو في يافا والقدس مواجهة الصحافة العبرية الصهيونية التي تمتعت بقاعدة إدارية ومهنية ومالية صلبة ومتينة لكونها حاملة معها تجربة صحافية واردة من اوروبا. ورغم هذا، نستطيع القول بأن الصحافة العربية الفلسطينية التي صدرت في حيفا لم توفر فرصة إلا وناقشت فيها المسألة المتعلقة بالصهيونية، كما فعل نجيب نصار، شيخ الصحافيين الفلسطينيين في جريدته « الكرمل».

ولم يقتصر نشاط الصحافة العربية الفلسطينية الصادرة في حيفا على قضايا فلسطينية فحسب، إنما

تطرقت هذه الصحافة إلى قضايا عربية مثل الوحدة والشأن السوري باعتبار أن علاقات فلسطين مع سوريا ما زالت تخيم على فكر كثيرين من كبار السياسيين الفلسطينيين والصحافيين ايضا.

ومن بين المواضيع الاخرى التي طرحتها الصحف في حيفا كل ما له علاقة بتطور المدينة والصراع الآخذ بالتعمق والازدياد بين المجتمعين العربي واليهودي. فالمدينة اخذت تستقطب أعدادا كبيرة من المهاجرين اليهود الذين تمكنوا، بدعم سياسي وتنظيمي من الادارة الانتدابية البريطانية والهيئات الصهيونية النشطة كالوكالة اليهودية والقيرن قييمت، من بسط نفوذهم على مراكز القوى واتخاذ القرار في المدينة وفي مقدمتها السيطرة على البلدية ابتداء من العام ١٩٤٠ عندما تولى شبتاي ليفي رئاستها خلفا لحسن شكري المتوفى في العام ذاته. ومن وقتها فقد العرب سيطرتهم او نفوذهم في هذا المجال الحيوي في حيفا. وتناقلت الصحافة هذه المسألة بإسهاب في حينه.

وفيما يلي قائمة بأسماء الصحف والنشرات والمجلات التي صدرت في حيفا في عهد الانتداب البريطاني:

- «**النفائس**»: وهي مجلة فكاهية ادبية، لمحررها خليل بيدس. تأسست في تشرين اول ١٩٠٨. صدرت مرة واحدة في الاسبوع، ثم مرتين ابتداء من كانون الثاني من العام ١٩٠٩. وكانت تطبع في المطبعة الوطنية لصاحبها باسيلا الجدع. وارتأى صاحبها نقلها إلى القدس في عام ١٩١١، حيث تم طبعها في مطبعة دار الايتام الاسلامية. وتابعت هذه المجلة صدورها من القدس وكانت تلقى استحسانا لدى القراء في حيفا أيضا.
- «**جراب الكردي**»: وهي جريدة سياسية هزلية، لمحررها متري حلاج. تأسست في حيفا سنة ١٩٠٨ وصدرت مرة واحدة في الاسبوع.
- «**الكرمل**»: وهي جريدة تبحث في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية. صاحبها ومحررها نجيب نصار. تأسست في العام ١٩٠٨. وصدرت مرة واحدة في الاسبوع. إلا أنها ابتداء من العدد ٧٥ الصادر في ١٩١٠/٨/٦ تحولت للصدور مرتين في الاسبوع. وتعرضت الجريدة إلى سلسلة من الاغلاقات سواء في العهد العثماني أو البريطاني بسبب الخط السياسي الذي انتهجه محررها بصراحته ونقده اللاذع. وتعتبر هذه الصحيفة من أقوى الصحف الفلسطينية في ذلك الوقت ومن الأكثر انتشارا. وبقيت الصحيفة تصدر حتى عام ١٩٤٢. وانتقل محررها إلى الناصرة لاحقا حيث أصيب بمرض أنهكه فتوفى قبل وصول قوات الهاغاناه إلى الناصرة في صيف ١٩٤٨. وهكذا أسدل الستار عن إحدى أهم الصحف الفلسطينية إثارة ومغامرة سياسية وفكرية.
- «**النفير**»: وهي جريدة جامعة تبحث في مختلف المواضيع السياسية والادبية والعلمية، لمحررها ايليا زكا. تأسست في القدس عام ١٩٠٨ ثم انتقلت إلى حيفا في العام ١٩١٣. وكانت تصدر مرة واحدة في الاسبوع. وعرف عن علاقات صاحبها –محررها مع يهود اعضاء في الحركة الصهيونية . وقد روج لبعض الافكار الصهيونية على صفحات صحيفته. وأصدر نسخة بالعبرية حملت اسم «هشوفار»(أي النفير).

- **«الحمارة القاهرة»**: وهي جريدة فكاهية ادبية مستقلة، لمحرريها خليل زقوت ونجيب جانا. تأسست في الرابع من ايلول ١٩١١. ولكنها لم تعمر طويلا بسبب انفصال صاحبيها واستقلال كل منهما بالعمل.

- **«العصا لمن عصا»**: وهي جريدة سياسية هزلية ادبية، لمحررها نجيب جانا. تأسست في ٢٢ شباط ١٩١٢. وصدرت مرة واحدة في الاسبوع، وطبعت في المطبعة الوطنية بحيفا. وتوقفت عن الصدور خلال الحرب العالمية الاولى. إلا أنها عادت للصدور في عام ١٩٢٠ على يد الاستاذ ابراهيم ادهم إلى أن احتجبت في سنة ١٩٢٢.

- **«المحبة»**: جريدة اسبوعية. محررها هو فضل الله فارس أبي حلقة.[1] وكانت هذه الجريدة قد صدرت على شكل مجلة من قبل «جمعية التعليم المسيحي الارثوذوكسي في بيروت»، حيث رأى العدد الاول النور في ١٣ كانون الثاني ١٨٩٩. وبعد اعلان الدستور العثماني، المشار اليه سابقاً، تحولت المجلة الشهرية إلى صحيفة يومية وصدر العدد الاول منها في ٢ تشرين الثاني من العام ١٩٠٨، وفي عام ١٩١٢ انتقلت الصحيفة إلى حيفا وصدرت هناك اسبوعيا. ويشير يعقوب يهوشع إلى أن هذه الصحيفة العربية الشهيرة توقفت عن الصدور في حيفا ... وان صحيفة «هاحيروت» العبرية قد أشارت بهذا الخصوص «إلى أن صحيفة المحبة ناضلت ضد أعدائنا ودافعت عن مستوطناتنا، فتوقفها هو مما يؤسف له».[2]

- **«الصاعقة»**: وهي جريدة سياسية ادبية مستقلة، لمحررها جميل رمضان. تأسست في حيفا عام ١٩١٢، وصدرت مرة واحدة في الاسبوع. ويذكر دي طرازي انها توقفت بعد اشهر قليلة من صدورها.[3]

- **«حيفا»**: جريدة عمالية تدافع عن حقوق العمال والفلاحين في فلسطين. محررها ايليا زكا. تأسست في آذار ١٩٢١. وصدرت مرة واحدة في الاسبوع، وطبعت في مطابع النفير في حيفا.[4]

- **«السلام»**: وهي جريدة عربية يهودية تصدر مرة واحدة في الاسبوع لصاحبها نسيم ملول. تأسست عام ١٩١٩. وتبحث في القضايا الاجتماعية وسياستها صهيونية. وأوقف صاحبها عملها بعد أن نال وظيفة في الجهاز الحكومي الانتدابي في القدس.[5]

- **«زهرة الجميل»**: وهي مجلة ادبية، لصاحبها ومحررها جميل البحري. تأسست في أول ايار ١٩٢١، وجُعل اسمها في عام ١٩٢٢ «الزهرة».

- **«الزهرة»**: وهي مجلة ادبية روائية اخلاقية تاريخية فكاهية، لمحررها جميل البحري وشقيقه

---

١ راجع كتاب فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج ٤، بيروت١٩٣٣، ص ١٠ وص١٠٨.

٢ راجع كتاب يعقوب يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني(١٩٠٨-١٩١٨)**، مطبعة المعارف في القدس، ١٩٧٤. ص ١٣٤.وهو بدوره ينقل معلومات بهذا الشأن عن دي طرازي.

٣ دي طرازي.م.س. ج٣، ص ٧٠. وايضا في يهوشع.م.س. ص ١٣٤.

٤ م.س. ج٤.ص ١٣٨ وص ١٤٠.

٥ يشدد جميل البحري على ان توجه وسياسة هذه الجريدة صهيوني، بكل معنى الكلمة رغم ادعاء صاحبها بأنه يهتم للتقريب بين الوطنيين والصهيونيين. تاريخ حيفا لجميل البحري. اصدار المكتبة الوطنية بحيفا، ١٩٢٢. ص ٣٣.

حنا، صدرت مرتين في الشهر في حيفا. واشرف شقيقه حنا على تحرير وطباعة الجريدة لعدة اشهر بعد اغتيال جميل في أيلول عام ١٩٢٠.

- «**الطبل**»: جريدة سياسية اجتماعية فكاهية، حررها ابراهيم كريم. صدرت مرة واحدة في الاسبوع. تأسست في حيفا سنة ١٩٢١.
- «**الاردن**»: جريدة رسمية. صدرت مرة واحدة في الاسبوع، صاحبا الامتياز ومحرريها خليل نصر وباسيلا جدع. تأسست في ٨ تشرين الاول عام ١٩٢٢. واستمرت في الصدور حتى ١٩٢٧ حين انتقل خليل نصر الى عمان فأصدرها متفرداً.
- «**اليرموك**»: جريدة سياسية اخبارية، صدرت خمس مرات في الاسبوع، وطبعت في المطبعة الاهلية التجارية بحيفا ثم في المطبعة العباسية في حيفا ايضا. تأسست في ٣١ آب ١٩٢٤. صاحب امتياز الجريدة محمد رشيد الحاج ابراهيم والمدير المسؤول كمال عباس. وانتقلت ملكيتها الى علي بشير وصبحي فؤاد الريس ثم الى عزة قاسم.[١]
- «**الاقدام**»: جريدة سياسية انتقادية جامعة. صدرت مرة واحدة في الاسبوع في حيفا. تأسست في أول آب ١٩٢٦. ثم انتقلت إلى يافا بعد سنتين. صاحب الجريدة ومديرها المسؤول يوسف سلوم ومدير الادارة سليم الحلو البيروتي الاصل ومن سكان حيفا. وطبعت في المطبعة العمومية. ويذكر يهوشع أن هذه الجريدة توقفت عن الصدور في اواخر ١٩٣٧.[٢]
- «**الزهور**»: حررها جميل البحري ثم شقيقه حنا البحري. تأسست في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ في حيفا. وكانت تصدر مرتين في الاسبوع. وهي مجلة ادبية. ويشير يهوشع إلى أنها خدمت مصالح طائفة الروم الكاثوليك في حيفا والجليل التي كان يرأسها احد زعماء الحركة الوطنية العربية المطران غريغوريوس حجار. وساهم في الكتابة فيها كل من المطران حجار والعلامة عبدالله مخلص رئيس الاوقاف الاسلامية في فلسطين. ودعت المجلة إلى تقوية روابط الأخوة بين العرب من منطلقات قومية وانسانية، وساهمت في نشر محاضرات للعلامة مخلص ابرزها تلك المحاضرة التي القاها في نادي الشبيبة الانجيلية في حيفا في ١٤ ايلول عام ١٩٢٧ تحت عنوان «المسلمون والنصارى». وصدر أخر عدد منها في ١٢ ايار ١٩٣١.[٣]
- «**النهضة**»: وهي جريدة اخبارية أدبية صدرت مرة في الاسبوع مؤقتاً. صاحبا الجريدة هما جاد سويدان وقيصر ابيض. ومديرها المسؤول وديع صنبر. تأسست في حيفا في ايار ١٩٢٩ وعاشت حتى شهر نيسان عام ١٩٣٠.[٤]

---

١ يبدو وجود بلبلة في تاريخ تأسيس الجريدة، فالتاريخ الذي أوردناه أعلاه مقتبس عن كتاب يوسف خوري. الصحافة العربية في فلسطين(١٨٧٦-١٩٤٨). بيروت، ١٩٧٦، ص ١٣٧. بينما يشير يهوشع إلى أن العدد الأول من هذه الجريدة قد صدر في ٢ آب ١٩٣٠. راجع كتابه بعنوان: **الصحافة العربية الفلسطينية في بداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩١٩-١٩٢٩**، اصدار شركة الابحاث العلمية في جامعة حيفا ،١٩٨١، ص ٢٩٠.

٢ يهوشع،م.س. ص ٣٣٤.

٣ م.س. ص ٤١٨،دي طرازي، ج٤ ، ص ٧٢.

٤ يهوشع . م.س. ص ٤٢٣. اما احمد خليل العقاد فيذكر في كتابه : **الصحافة العربية في فلسطين**، دمشق، ١٩٦٦ في ص ٧٥ ان الجريدة

- «**المجلة التجارية**»: كانت تصدر عن غرفة تجارة حيفا مرة واحدة في الشهر. تأسست في كانون الثاني عام ١٩٢٥.

- «**نشرة الغرفة التجارية**»: حررها فؤاد طباع. وهي جريدة تبحث في أخبار الغرفة والأبحاث التجارية والاقتصادية الاخرى. صدرت مرة واحدة في الشهر ثم مرة واحدة في الاسبوع. وصدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩٤٥/٣/٢٧. وكانت تنشر الاخبار والمقالات باللغتين العربية والانكليزية . طبعت في مطبعة النفير في شارع الملوك.

- «**كشاف الصحراء**»: وهي مجلة كشفية أخلاقية مصورة. صاحباها عاطف نورالله ومطلق عبد الخالق. تأسست عام ١٩٣١. وكانت تصدر مرة واحدة كل شهر.

- «**النفير**»، لصاحبيها ومحرريها سهيل وزكي زكا نجلا مؤسسها ايليا زكا. وظهرت بحلة جديدة في اول ايار ١٩٣٣ . وتبحث في الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاخبار العامة. وكانت تصدر مرة واحدة في الاسبوع في اللغة العربية . وطبعت في مطبعتها الكائنة في شارع السيقلي.

- «**الكرمل الجديد**»، وهي جريدة تبحث في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية. صدرت مرة واحدة في الاسبوع باللغة العربية عن المطبعة الكائنة في وادي الصليب. ونال صاحبها نجيب نصار ترخيصين فإصدارها الاول في عام ١٩٣٤ والثاني في عام ١٩٣٧. وأصدرها بهذا الاسم بعد ان تعرضت جريدته «الكرمل» الى مصاعب جمة. وطبعت في مطبعتها الكائنة في وادي الصليب.

- «**البشرى**»: لعبد عطاالله الجلندهري وهيئة الجماعة الاحمدية في مدينة حيفا. حررها عبد عطاالله الجلندهري ومحمد سليم الاحمدي اعتبارا من ١٩٣٦/٤/٣. وهي جريدة تبحث في المواضيع الدينية والعامة. كانت تصدر اربع مرات في السنة باللغة العربية. وطبعت في بداياتها في مطبعة الزيتوني في طريق يافا بحيفا ثم في مطبعة النفير في المدينة ذاتها.

- «**آخر ساعة**»: لصاحبها يوسف عازار سلوم ومحررها أنس الخمرة. وهي جريدة تبحث في الشؤون السياسية والادبية. وكانت تصدر يوميا باللغة العربية في حيفا. وطبعت في مطبعة حداد في شارع وادي النسناس. تاريخ ترخيصها الرسمي في ١٩٣٨/٩/٣٠.

- «**السمير**»: وهي جريدة تبحث في الشؤون الاجتماعية والسياسية والأخبار المصورة والاقتصاد. محررها منير حداد. وطبعت في مطبعة حداد في شارع الخوري عند زاوية وادي النسناس. ونالت ترخيصا رسميا بصدورها في الخامس من شباط ١٩٤٠، إلا أنها احتجبت عن الصدور في ذات السنة التي صدرت فيها.

- «**الرابطة**»: لمحررها وصاحب امتيازها المطران جوارجيوس حكيم. وهي مجلة تبحث في الأمور الدينية لمنفعة طائفة الروم الكاثوليك في حيفا والجليل. صدرت مرة واحدة في الشهر باللغات العربية والانكليزية والفرنسية. وطبعت في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس. وتاريخ ترخيصها في ١٩٤٤/١/١٧. واستمرت في الصدور حتى انتهاء الانتداب البريطاني . ثم عادت إلى

تأسست في ٢١ ايلول عام ١٩٢٩، وأنها مجلة أدبية طائفية . وأنها توقفت في ذات السنة التي صدرت فيها.

الظهور مجددا بعد قيام اسرائيل إلى أن احتجبت نهائيا في مطلع التسعينات من القرن الماضي.

- «**الاتحـاد**»: محررهـا اميـل جبرائيـل توما. وهـي جريدة تبحث في شـؤون العمـال بما في ذلك المواضـيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. صدرت مرة واحدة في الاسبوع بالعربية. طبعت في مطبعة النفير في حيفا. وصـدر العدد الاول منها في ١٤ ايار ١٩٤٤. وما زالت هذه الجريدة تصـدر يوميا في حيفا وهي الناطقة بلسان الحزب الشيوعي والجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة.

- «**العامل العربي**»: محررها الدكتور عمر خليل. وهي جريدة تبحث في شـؤون العمال والمواضـيع الاجتماعية والاقتصـادية والسياسـية. وهي جريدة جمعية العمال العربية الفلسـطينية في حيفا. وكانت تصـدر مرة واحدة بالاسـبوع بالانكليزية ويوميا بالعربية. وطبعت في مطبعة حداد. وصدر العدد الاول منها في ١٤ كانون الاول ١٩٤٥.

- «**المهمـان**»: جريـدة تبحـث في المواضـيع الاجتماعية والاقتصـادية والسياسـية والنقـد والاخبار المصـورة. محررها منير حداد. وكانت تصدر مرة واحدة في الاسبوع بالعربية. وطبعت في مطبعة حداد. وصدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩٤٦/٢/٢١.

- «**الحارس**»: وهي جريدة تبحث في المواضـيع الدينية. ومحررها سـامي يوسـف ابو حمد. وكانت تصدر مرة واحدة في الشهر بالعربية في حيفا. وطبعت في مطبعة «المياه الحية» الكائنة في القدس. وصدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩٤٦/٦/١١.

- «**كوكـب الكرمـل**»، جريـدة تبحـث في المواضـيع الروحيـة والادبيـة والثقافيـة. محررها الاب جـون طنـب، الرئيس الروحـي لطائفة اللاتين في حيفا. صـدرت مـرة واحدة في الشـهر باللغتين العربية والفرنسـية. وطبعت في مطبعة الفرنسيسـكان بالقدس. وصـدر العـدد الاول منها بتاريخ ١٩٤٦/٩/١٦.

- «**اخبار فلسطين**»: جريدة تبحث في الشـؤون السياسـية والاجتماعية والاقتصـادية والثقافية. محررها انس الخمرة. وكانت تصـدر يوميا باللغة العربية. طبعت في مطبعة النفير. وصـدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩٤٨/٤/٦. واحتجبت مع سقوط حيفا في ١٩٤٨/٤/٢٢.

- The Palestine Daily Mail، وهي جريدة تبحث في المواضيع السياسية والتجارية والاجتماعيـة والعمومية. صـدرت سـت مرات في الاسـبوع باللغـة الانكليزية. وصـدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩٢٤/٩/٨. ومحررها منير حداد.

- Times of Palestine، وهي جريدة سياسية يومية. محررها منير حداد. صدر العدد الاول منها في عام ١٩٢٣.



الفصل الخامس

النشاطات الرياضية والكشفية

كانت غالبية نشـاطات المجتمع العربي الرياضية في حيفا مرتبطة بالمدارس أو بالجمعيات الخاصة بكل طائفـة من الطوائف الدينية في المدينة خلال السـنوات الاولى للانتداب البريطاني. ويبدو بوضـوح أن وجـود الانجليـز كجيش وجالية بريطانية مكونة مـن موظفين وعائلاتهم قد سـاهم نوعا ما في إحداث تغيير نوعي وكمي في قطاع النشاطات الرياضية في كافة الفروع الرياضية وأحبها كرة القدم.

حصل التحول من خلال مشاهدة المواطنين العرب لألعاب رياضية كان يمارسها الانجليز، أو لنشاطات رياضية كالسباحة والركض والقفز وكرة السلة وكرة المضرب (التنس) وغيرها .

ولكن منذ مطلع الثلاثينات اخذ عدد من المواطنين العرب بالمشاركة الفعلية في بعض الالعاب والنشاطات الرياضية التي ينظمها الانجليز. خاصة أبناء العائلات الثرية والمتنفذة التي أقامت لها علاقات تجارية ومصالح رأسمالية وصداقة مع الانجليز.

من جهة أخرى كان للمجتمع اليهودي في المدينة تأثيره على العرب بشكل غير مباشر، إذ نشطت منظمتا مكابي وهبوعيل في تنظيم النشـاطات الرياضية على مختلف أنواعها، وتميزت هذه المنظمات بدعايات سـابقة للنشاطات الرياضية لإثارة الرأي العام اليهودي وزيادة التنافس بين مؤيدي المنظمتين. ولم تكن



هذه النشــاطات غائبة عن عيون المجتمع العربي بل أن هذا المجتمع كان يســمع واحيانا يشاهد كثيرا من النشاطات والفعاليات الرياضية لدى المجتمع اليهودي في حيفا.

من جهة اخرى نقل مواطنون من المجتمع العربي أخبارا رياضــية عما شــاهدوه أثناء تواجدهم في لبنان أو مصــر أو ســوريا. وبدون أدنى شك أن مشاركة العرب في مشاهدة الانشطة الرياضية في هذه الاقطار كان عاملا مساعدا في إثارة وتحريك الروح الرياضية في نفوس العرب في حيفا .

ولا يفوتنا أبدا أن الاخبار الرياضية الواردة في الصحف العربية المحلية او الوافدة من الاقطار المجاورة نقلت ما يكفي من الصور الرياضية عن الفرق الرياضية فيها .

إذاً، كل هــذه الخلفيات مجتمعة كانت قاعدة لانطلاق فكر رياضــي متواضــع داخــل المجتمع العربي في حيفــا. وتمثــل بإقامة بعض الفرق الرياضــية التي لاقت تأييدا واســعا واســتقطبت جمهــورا كبيرا من المؤيدين والمشــاهدين. وســاهمت الصــحف العربية الفلسطينية الصــادرة في حيفا في ترويج نشاطات وفعاليات هذه الفرق .

كما وتأسست في حيفا نواد رياضية لعبت دورا بارزا في تنمية وتقوية بعض الفروع الرياضية، خاصة كرة

القدم التي كانت محبوبة لدى الجمهور العربي في حيفا وكافة فلسطين. ومن بين هذه النوادي:

«شباب العرب» و «الترسانة» و «النادي الرياضي الاسلامي» و «الهوتشمن» و «الهومنتمن» (الناديان الاخيران هما تابعين للطائفة الارمنية في حيفا) . وساهمت هذه الأندية بتعميق الروح الرياضية ورفع مستوى الرياضة في المدينة، إضافة إلى نواد أخرى تبنت لعبة كرة القدم إلى جانب العاب وفروع رياضية أخرى مثل النادي الكاثوليكي والنادي الارثوذوكسي.

وتركزت الملاعب في المنطقة الغربية من حيفا، والتي تعرف باسم «الموارس»(أقيمت عليها بعد عام ١٩٤٨ أحياء سكنية يهودية تحمل أسماء «كريات اليعيزر» و «كريات شموئيل») .

واصطفت الملاعب الواحد وراء الآخر حسب الترتيب التالي: النادي الرياضي الاسلامي ونادي شباب العرب ونادي الترسانة وملاعب الروم. وأحيطت الملاعب بألواح خشبية مرتفعة لمنع تسلل مشاهدين دون دفع رسوم الدخول .

وآفتتح نادي شباب العرب في العام ١٩٤٤ وكان آخر ملعب من بين الثلاثة الذي تم افتتاحه، حيث جرت على أرضه مباراة ودية بين فريق هذا النادي وبين فريق كرة القدم التابع للنادي الارثوذوكسي في القدس، وانتهت المباراة بفوز نادي شباب العرب ٤-١.

ونُظمت المباريات في أيام الآحاد لكونها أيام العطلة الرسمية، فكانت الجماهير الحيفاوية المحبة لرياضة كرة القدم تحتشد بالآلاف لمشاهدة المباريات الرياضية، وكان لكل فريق جمهور مؤيديه، فينقسم المشاهدون إلى مجموعتين. ولكنهم يتحدون معا عندما تكون المباراة بين فريق حيفاوي وفريق من خارج المدينة .

وأحرز فريق نادي شباب العرب بطولة فلسطين عام ١٩٤٥ في لعبة كرة القدم بعد أن تمكن من التغلب على فريق النادي الرياضي الاسلامي من يافا. والفريق الأخير كان يعتبر بطل منطقة يافا. وكانت النتيجة ٣-١ لصالح شباب العرب. وانتقل فريق شباب العرب الى المباراة النهائية ليلتقي بفريق النادي الدجاني بطل منطقة القدس ليتغلب عليه بالنتيجة ٢-١. وهكذا توج فريق نادي شباب العرب ببطولة أندية كرة القدم للعام المذكور.[١]

أما المباراة الأخيرة التي شهدتها فلسطين قبل حصول النكبة فنظمت في شهر ايلول من العام ١٩٤٧ بين نادي شباب العرب وبين منتخب مدينة حلب السورية . فاحتشدت الجماهير من حيفا وعكا وشفاعمرو وقرى القضاء لدعم وتشجيع الفريق الحيفاوي . وكانت شهرة الفريق الحلبي قد بلغت حدا واسعا أثار القلق الشديد والتوتر العميق في صفوف الجمهور الحيفاوي ومؤيدي فريق شباب العرب، إلا أن المباراة انتهت بالتعادل بين الفريقين ١-١ رغم شدة وقسوة المباراة بين الفريقين.

وتكون فريق نادي شباب العرب من رئاسة: سعيد حويلة وحنا بطرس وحبيب الزرقا. وتشكل الفريق عام ١٩٤٧ من :

---

١ لمزيد من التفاصيل والمعلومات حول هذه المباريات يمكن الاستعانة بكتاب عبد اللطيف كنفاني السابق ذكره ، والذي يقدم ذكريات شخصية لما شاهدته عينه ولما عايش في حيفا .

اسادور و فوزي منصور ، حارس مرمى

نديم شربين، ظهير ايمن

دنيس نصراوي وطوني قسيس ، ظهير ايسر

ثيودور برامكي، ساعد دفاع ايمن (كان برامكي لاعبا في منتخب فلسطين)

ميشال مجدلاني وشاهين الزرقا، ساعد دفاع ايسر

ميشال الطويل، قلب دفاع (كان لاعبا في منتخب فلسطين)

بشارة دردس وسليم جدع، جناح ايمن

جبرا الزرقا، ساعد هجوم ايمن (وكان من اشهر هدّافي الفريق ولاعب في منتخب فلسطين)

فضيل دردس وصبحي الزهر، قلب الهجوم

فانكلي اندريه،ساعد هجوم ايسر (لاعب في منتخب فلسطين)

سهيل بيراخ، جناح ايمن

ولعب في هذا الفريق خيرة لاعبي فلسطين أمثال حبيب الزرقا وانيس صهيون ومصطفى رفعت وكيفورك كوريان وغيرهم.

وكان من أشهر اللاعبين في الفريق قاطبة جبرا الزرقا الذي وصفت ضرباته بأن لا مثيل لها في تاريخ لعبة كرة القدم، وتابع الزرقا وميشال الطويل مشاركتهما في مباريات كرة القدم بعد النكبة في فرق أندية لبنانية واردنية وسورية. أما اسادور حارس المرمى المشهور فبعد هجرته القسرية إلى لبنان هاجر منها إلى ارمينيا حيث انخرط في فريق نادي الدينامو الروسي المرموق وتناقلت الصحف السوفييتية أخبار نجاحاته الباهرة.[١]

أما فريق النادي الرياضي الاسلامي فترأسه يونس نفّاع وتشكل من اللاعبين الآتية أسمائهم:

كمال نفاع[٢] والجارودي ، حارس مرمى

اديب ترك،[٣] جناح ايمن

جورج مارديني،[٤] ظهير ايمن

رشيد ابو غزالة، ظهير ايسر

---

١ المرجع السابق فيه تفاصيل اسمية حول تركيبة كل فريق ، ونحن ننقلها مع إضافة ما سمعناه من شهود عيان وكبار في السن لهم ذكريات حول مباريات هذه الفرق، كنا قد سجلناها من خلال سلسلة مقابلات أجريناها معهم على مدار العقدين الأخيرين.

٢ استشهد في معركة قرب تلة نابليون قرب عكا.

٣ انضم بعد الهجرة عام ١٩٤٨ إلى نادي الشرطة السورية وأصبح لاعبا مرموقا في منتخب سورية الدولي.

٤ وهو حلبي الاصل، التحق بعد هجرته حيفا بفريق شرطة الجيش السوري ثم أصبح لاعبا مرموقا في منتخب سورية الدولي.

عبد الستار، ساعد دفاع ايسر

شفيق الديك ومحمد سليم طه واحمد النجمي، ساعد دفاع ايمن وايسر

محمد وهبه، قلب دفاع

نسيب، قلب هجوم

لمعت قطنة، ساعد هجوم ايمن

محمود فوزي وهاكوب، جناح ايسر

ونظمت النوادي الرياضية مباريات بين فرقها ومنتخبات الجيش البريطاني المتواجد على أراضي فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت الفرق العربية الحيفاوية تحرز الانتصارات الكبيرة على الدوام على هذه الفرق رغم مهنيتها واحترافها الواسعين، إلا في مباراة واحدة كانت ساخنة للغاية التقى فيها منتخب فلسطين، وفيه عدد كبير من لاعبي الأندية الرياضية الحيفاوية، مع فريق خفر السواحل البريطاني تحت رعاية المندوب السامي البريطاني على فلسطين السير كاننغهام، كان الانتصار لصالح فريق خفر السواحل .

أما الألعاب الرياضية الأخرى فكان لها حظ ما، اقل من كرة القدم، ولكنها استقطبت جمهورا واسعا من المؤيدين والمناصرين، وفي مقدمتها كرة السلة والكرة الطائرة والجمباز ورفع الاثقال والملاكمة .

واستحوذت مباريات الملاكمة جانبا من الاهتمام حيث أقام اديب كمال وهو لاعب ومدرب وحكم في الملاكمة ناديا له في سنوات الثلاثينات في البوابة الشرقية .

ومن أهم وابرز المباريات التي شهدتها حيفا وهرولت لمشاهدتها جماهير غفيرة تلك المباراة بين البطل الحيفاوي سنحاريب صليبا وماردو بطل القدس. وجرت المباراة على ملعب نادي الترسانة في صيف العام ١٩٤٥، حيث تمكن سنحاريب من تسديد ضربة قاضية إلى ماردو حققت له الفوز الساحق عليه. وما يميز هذه المباراة أن الصحف العربية الفلسطينية في حيفا قد مهدت لها أسبوعين قبل حصولها مما ألهب الجماهير وشدهم إلى حضورها. وتابع سنحاريب ممارسة رياضة الملاكمة في لبنان بعد هجرته إليه في أعقاب النكبة عام ١٩٤٨.

واستقبلت ملاعب حيفا ملاكمين آخرين كبار أمثال اديب الدسوقي بطل فلسطين في الملاكمة وهو من يافا، حيث حضر إلى حيفا لمواجهة سنحاريب ترافقه ارتال من سيارات المؤيدين والداعمين، وفاز على سنحاريب في المباراة الاولى ولكنهما تعادلا في الثانية .

أمّا في فرع كرة السلة فكان للنادي الساليسي(نادي الساليزيان) دور السبق في تطوير ونشر هذا الفرع من خلال تدريب طلاب مدرسة الساليزيان ثم تكوين فريق على مستوى راق للغاية. وحقق فريق النادي سلسلة من الانتصارات على فرق اندية أُخرى داخل فلسطين وخارجها .

وشارك عدد كبير من لاعبي نادي الساليزيان في مباريات أندية أُخرى في حيفا. واستقبل النادي فرق

كرة سلة ذات شهرة عالمية قادمة من ايطاليا وفي مقدمتها نادي روما المشهور ونادي مدرسة الساليزيان في روما ايضا. ولقد سمعتُ أخبارا مثيرة للاهتمام حول تدريبات هذا الفريق من خريجي مدرسة الساليزيان الذين بقوا في حيفا بعد ١٩٤٨. وتميز هذا الفريق بخفة حركة لاعبيه وأخلاقهم الرياضية الرفيعة وزيهم المتميز.

اما بالنسبة للنشاطات الكشفية فتركزت من خلال السرايا الكشفية الكثيرة التي انتشرت في حيفا وكانت تتبع لطوائف المدينة، إضافة إلى فرق كشفية مستقلة أسستها بعض جمعيات أهالي قرى من الجليل.

ومن بين الفرق الكشفية التي نشطت في حيفا: كشافة الروم الكاثوليك والكشاف الماروني والارثوذوكسي والارمني واللاتيني والاسلامي ومار لويس وغيرها.

ومن بين نشاطات الكشاف تنظيم العروض والمسيرات الكشفية في الأعياد والمناسبات، خاصة الأعياد الكبيرة كالفصح والفطر والأضحى والصليب وغيرها. وشاركت الفرق الكشفية في استقبال زعماء سياسيين ورجال دين بارزين قدموا إلى المدينة، خاصة وان بناء الميناء في عام ١٩٣٢ زاد من وتيرة حضور الشخصيات المذكورة. وكان ابرز حدث شاركت فيه الفرق الكشفية العربية في حيفا يوم استقبال جثمان الملك فيصل القادم من اوروبا في طريقه إلى بغداد ليدفن هناك(١٩٣٣). واستقبال الأمير عبدالله في عام ١٩٤٦.

ونظمت الفرق الكشفية منفصلة ومتحدة مخيماتها السنوية في احراش الكرمل أو في احراش قرية معلول(بالقرب من الناصرة) وغيرها من المواقع في فلسطين.

وسارت الفرق الكشفية وفق أسس الكشاف الذي وضعه مؤسس الحركة الكشفية بادن باول. وأضافت الفرق العربية قَسَمًا بالعربية يتعلق بحب الوطن العربي الفلسطيني.

وشاركت وفود من الفرق الكشفية العربية في مخيمات الجامبوري الدولية في مصر وسورية والاردن وفي بعض الدول الاوروبية.

ساهمت الحركة الكشفية في تربية النظام وحب الخدمة والمساعدة والطاعة وعزة النفس وكرامتها وحب الوطن في نفوس أعضاءها المنتمين إليها.

واستقطبت الفرق الكشفية اعدادا كبيرة من الشبيبة والشباب الذين انخرطوا في صفوفها كجزء من عملية المشاركة في الحياة الاجتماعية والاستفادة من الوقت، خاصة في مجتمع كانت فيه النشاطات محدودة نوعا ما.

والملفت للانتباه أن معظم الفرق الكشفية كانت مقتصرة على الشباب – اي الرجال، إلا أن بعضا منها فتحت المجال في سنوات الاربعينات أمام الفتيات للانخراط في العمل والنشاط الكشفي.



الفصل السادس

مفكرون وأصحاب مهن ورجال مجتمع

حمل التحول في نظام الحكم والادارة من العثماني إلى البريطاني آثارا ليست بسيطة في كافة الاصعدة، وخاصة في تكوين نخبة من المفكرين ورجال المجتمع في حيفا وسواها من المدن الفلسطينية. أي أن التحول المذكور قد عجّل في زيادة عدد المتعلمين وبالتالي في ارتفاع نسبة اصحاب الوظائف والمهن ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية التي لها دور في رسم سير الحياة حاضرا ومستقبلا في المدينة الفلسطينية. والحديث عن حيفا يشمل ثلاثة متغيرات لعبت دورا في تحريك المجتمع الفلسطيني، أولها تغير الحكم وشكله ونمط تفكيره وطرق تعامله ورؤيته وسياسته نحو العرب الفلسطينيين، والثاني توافد مجموعات كبيرة من المهاجرين اليهود، خاصة في سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي، وتبوؤهم مهاما ووظائف مركزية في الاجهزة الادارية البريطانية والبلدية واليهودية الخاصة. والثالث هو تحرك المجتمع الفلسطيني بقواه الذاتية نحو رفع مستواه في الاصعدة المذكورة.

وامام التحولات السريعة التي شهدها المجتمع الفلسطيني عامة، وفي حيفا خاصة كان لا بد من بناء قطاعات اجتماعية تعمل على تقدم ورقي المجتمع العربي الفلسطيني، ومما لا شك فيه أن هذا المجتمع قد وقف أمام تحديات خطيرة. فالمجتمع اليهودي الوافد إلى المدينة امتلك قدرات علمية وعملية ووظيفية ومالية وادارية وتنظيمية ذات مستوى عال، والانجليز تعاملوا مع اليهود من هذه المنطلقات. إضافة إلى



المنطلق الاساسي ألا وهو الالتزام السياسي بتنفيذ مشروع إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وفقا لما ورد في تصريح بلفور من العام ١٩١٧ وصك الإنتداب من العام ١٩٢٢.

إن المتطلع إلى الادوار التعليمية والادبية والاجتماعية والاقتصادية التي قام العرب في حيفا بتنظيمها وتنفيذها خلال فترة الانتداب ليعجب كثيرا لكون العرب عملوا من دون غطاء حكومي يرعاهم، أو مؤسسة خارجية تهتم بشؤونهم (على سبيل المثال عصبة الامم التي أوكلت الانتداب إلى بريطانيا لتقوم بدور تهييء فلسطين لنيل الاستقلال). ولهذا نجد أن المجتمع الفلسطيني في حيفا وسواها من المدن الفلسطينية قد انطلق من ذاته ضمن حدود قدراته المتوفرة دون دعم خارجي، إلا في حالات نادرة.

كانت سنوات الانتداب البريطاني بالنسبة للمجتمع العربي الفلسطيني هامة في صقل شخصيته التربوية والفكرية والادبية والاجتماعية والاقتصادية والنضالية ضمن منظومة حياة المجتمع الفلسطيني عامة.

ومـا يميز هـذا المجتمع كونه خاض تجارب بناء الذات في كافة القطاعات الوارد ذكرها سابقا، وتمكن من توفير معظم الخدمات التي يحتاج إليها لتسيير حياته اليومية والمستقبلية اعتمادا على موارده في الأساس.

فكان لهذا المجتمع نصيب في عدد كبير من رجال القانون الذين تلقوا تعليمهم في المعهد الفلسطيني للحقوق في القدس أو في كليات تدريس الحقوق في الجامعة الامريكية ببيروت وفي جامعة دمشق أو جامعة القاهرة. هؤلاء افتتحوا لهم مكاتب في حيفا لمزاولة المهنة سواء كانوا من اهالي حيفا أو قدموا إليها للعمل فيها بكونها مركز قضاء وذات أهمية إدارية في ذالك العهد.

ومن بين هؤلاء :

انطون ديمتري حبايب وأنس الخمرة وحنا عصفور وحنا نقارة و عبد الكريم الكرمي(ابو سلمى) ومحمود الماضي ووديع البستاني ويوسف ابراهيم صهيون ونجيب الحكيم وامين جرجورة والشيخ محمود الخطيب والشيخ عبد العزيز الصباغ والشيخ سعيد كساب ، والثلاثة الاخيرين كانوا محامين شرعيين.

وبرز في مجال تنشيط وتفعيل الحركة الادبية عدد كبير من الادباء الذين لعبوا دورا بارزا في نهضة وتطور الادب الفلسطيني. وكان لحيفا دور هام في تبني مرافق هامة لها علاقة بتكوين الحركة الادبية، وفي مقدمتها العدد الكبير من الصحف والمجلات التي كانت تصدر فيها، والتي اشرنا إليها في فصل سابق. وكانت هذه الصحف منبرا مركزيا للتعبير عن الآراء ومناقشة الطروحات السياسية والفكرية التي كانت تقلق حياة الفلسطينيين وتقض مضاجعهم في ذلك الوقت، وفي مقدمتها الشأن السياسي الذي لم يفارق الأعمال الأدبية والفكرية لحظة واحدة لمعرفة العرب الفلسطينيين أن هذا الباب له تأثير على حياتهم الآنية والمستقبلية. وبناء عليه نشطت بالمقابل حركة سياسية وحزبية في حيفا وفي مقدمتها إقامة عدد من الاحزاب السياسية أو التأثر ببعض الاحزاب والتيارات السياسية المنتشرة في الأقطار العربية المحيطة بفلسطين ومن بينها الحزب القومي السوري بقيادة انطوان سعادة والذي كانت له بذور وبراعم في حيفا.[1]

واضافة إلى قائمة أصحاب الصحف والمجلات التي أوردناها سابقا والتي كان لمحرريها دور في إثراء الحياة الادبية في حيفا وفلسطين فإننا نورد هنا بعض الاسماء اللامعة في الكتابة والتأليف والنشر والترجمة من أبناء حيفا أو من الذين اختاروا العيش في هذه المدينة واتخذوها مسكنا لهم:

ابراهيم زكا (صاحب جريدة النفير) ، واصدر نسخة منها بالعبرية تحت اسم «هشوفار» بتمويل من جهات صهيونية لترويج فكرة الصهيونية في الأوساط العربية وتخفيف الضغط من قبل العرب على اليهود وإظهار الصهيونية بمظهر حضاري غير عنيف ومظهر التعاون وليس السيطرة . والشاعر احمد دحبور الذي ولد في العام ١٩٤٦ في حيفا ولكنه انتقل مع عائلته إلى سوريا حيث نشأ وترعرع ثم انتقل إلى لبنان وبعدها استقر في غزة ليعمل مديرا عاما لوزارة الثقافة الفلسطينية واصدر كتبا كثيرة اغلبها شعرا ودراسات ادبية نشرها على صفحات عدد من الصحف الفلسطينية والعربية. واحمد قبلاوي (١٩٣٧-١٩٨٤)وهو كاتب مسرحي عاش في دمشق بعد النكبة. والدكتور اميل توما (١٩١٩-١٩٨٥) وهو مؤرخ وناشط سياسي ومن مؤسسي عصبة التحرر الوطني وجريدة الاتحاد التي تولى تحريرها لفترة

---

١ راجع ما كتبه عبد اللطيف كنفاني في كتابه ، ١٥ -شارع البرج-حيفا، عن تأثره بفكر سعادة وسعيه مع آخرين إلى تكوين نواة للحزب القومي في حيفا.

معينة ومن قياديي ومنظري الحزب الشيوعي وقام بنشر عشرات الدراسات التاريخية حول فلسطين والقضية الفلسطينية والحركة القومية العربية. والكاتب اميل حبيبي (١٩٢١-١٩٩٦) وهو من مؤسسي عصبة التحرر الوطني ومن قياديي الحزب الشيوعي ومثّله في الكنيست لعدة دورات برلمانية، بعد العام ١٩٤٨، واصدر روايات كثيرة ترجم عدد منها إلى عدة لغات، ومن أبرزها: «المتشائل» و«سرايا بنت الغول»...

وأنس الخمرة (١٩١٠-١٩٩٦) الذي اشرنا اليه في مجموعة القانونيين وكان من ابرز النشيطين في المجالات التربوية والاجتماعية ومن مؤسسي الجمعية الاسلامية وجمعية انصار الفضيلة في حيفا.

وجاد سويدان الذي عمل في التجارة واصدر جريدة النهضة.

وجميل البحري (١٨٩٥-١٩٣٠) الذي تميز بنشاطاته الثقافية والادبية الواسعة فأصدر مجلات وجرائد ادبية مثل «الزهرة» و «الزهور» وقام بترجمة عشرات الروايات الادبية والبوليسية ونشرها في جرائده المذكورة. ويعتبر من واضعي أسس الحركة الادبية والفكرية الفلسطينية. ومثلت بعض مسرحياته على مسارح مدارس حيفا في سنوات العشرين.

وحسين عمر حمادة (١٩٤٤-....) الذي هاجر مع عائلته إلى دمشق فدرس فيها ثم في القاهرة وله نشاطات في اتحاد الكتاب العرب في دمشق وبعض الهيئات التي تهتم بالشأن التاريخي والاثري. من مؤلفاته: «خصائص الأدب الجغرافي الفلسطيني في تاريخ الأدب الجغرافي العربي» و «أحاديث عن مي زيادة»

وحيدر محمود (١٩٣٨-...) الذي هاجر مع عائلته إلى الاردن في عام النكبة وتعلم في احدى جامعات الولايات المتحدة ثم عين سفيرا للاردن في تونس. وله العديد من الاعمال الشعرية المنشورة.

وحسن البحيري (١٩٢١-١٩٩٨) وهو من عائلة فقيرة جداً، درس على نفسه طيلة حياته ، وخاصة عندما عمل موظفا في سكة الحديد بحيفا. وساهم في العمل الوطني كمقاوم لليهود والانجليز ونشر الشعر في اربعينات القرن الماضي ثم تابع نشاطه السياسي والادبي من دمشق التي اتخذها مستقرا له حتى وفاته. ومن ابرز دواوين شعره «حيفا في سواد العيون».

وخالد الحسن (١٩٢٨-١٩٩٤) وهو من مؤسسي وقياديي حركة فتح، وتولى فيها الدائرة السياسية ثم رئاسة لجنة الشؤون الدولية والخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني.له عدة مؤلفات .

وخيرية قاسمية (١٩٣٦-...) وتعمل استاذة للتاريخ العربي والاسلامي في جامعة دمشق، ولها ابحاث كثيرة في هذا المجال.ومن أبرز مؤلفاتها: « الرعيل الأول»، «مذكرات عوني عبد الهادي»

وراجي حبيب صهيون (١٩٢٠-٢٠٠١) وهو الإذاعي المشهور. عمل مذيعا في اذاعة الشرق الادنى ثم في الاذاعة الاردنية، وشارك في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية واصدر مجلة الرائد الاردني، وله سلسلة من المقالات السياسية والفكرية. وتوفى في بيروت في عام ٢٠٠١. له كتاب ذكريات بعنوان «حتى لا ننسى».

ورئيفة شبلاق (١٩٤٢-...) وتعمل في مركز التوثيق التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة. ولها عدة مقالات في هذا المجال. وتكتب في المجالات السياسية والأدبية الفلسطينية، لها كتاب بعنوان « تحولات المجتمع في الرواية الفلسطينية».

وزكريا محمد برزق(١٩٣٢-...) الذي درس في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة ونال إجازة في التربية، ويعمل محاضرا في جامعتي الازهر والقدس المفتوحة.

وعبدالله مخلص (١٨٧٨-١٩٤٧) وهو علامة مشهور له مساهمات في المجالات السياسية والادبية وكان من ابرز أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ونشر العشرات من الدراسات والابحاث التاريخية والادبية. وعمل في دائرة سكة الحديد، ثم مديرا لدائرة الاوقاف الاسلامية. وعرف عنه سعة علمه واطلاعه الواسع في حقل التراث الفلسطيني.

وعصام نور الدين العباسي(١٩٢٤-١٩٨٩) وهو شاعر ومناضل قومي بارز نشر الكثير من شعره في الجرائد والمجلات الفلسطينية وخاصة جريدة الاتحاد الحيفاوية.

وعبدالله الشيتي (١٩٣٤-١٩٩٨) عمل في الصحافة في دمشق ونشر مقالات ادبية وسياسية كثيرة .

وعبد الكريم الكرمي(١٩٠٩-١٩٨٤) المعروف بـ «أبو سلمى». وقد اشرنا إليه سابقا في باب القانونيين، إلا انه كان شاعرا وكاتبا ونشر العديد من الكتب.

وفاروق جرار(١٩٣٧-...) وهو صحافي مقيم في الاردن وله مساهمات في المقالة .

والدكتور قيصر خوري وهو طبيب وله مساهمات ادبية من ابرزها كتابه«ذكريات» نشره في عام ١٩٤٦، ويحتوي على اخبار ونشاطات اهالي حيفا على وجه الخصوص.

ومحمد الاسعد (١٩٤٤-...) وهو صحافي وباحث وناقد، له دار لنشر كتب الاطفال.

ومحمد سعيد محمدية مؤسس دار العودة للنشر في بيروت.

ونجيب نصار (١٨٦٥-١٩٤٨) وهو صاحب جريدة الكرمل وشيخ الصحافيين الفلسطينيين. لعب دورا بارزا في النشاطات السياسية والادبية والاجتماعية ونشر عدة روايات عكست التلاحم القومي العربي في بعض مواقف تاريخية .

ونبيل بدران(١٩٣٧-...) وهو باحث في حقل التربية والتعليم وله دراسة جادة بعنوان « التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني» عن مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨.

ونجلاء نصير بشور (١٩٤٧- ....) محاضرة وباحثة في موضوع التاريخ والقضايا التربوية. تعمل في بيروت. لها دراسة هامة بعنوان « تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة» بيروت ١٩٧١.

والشاعر نوح ابراهيم (١٩١٣-١٩٣٨) وهو شاعر شعبي دمج بين الشعر والنضال ضد الانجليز . وتميز بكتابة الشعر وغنائه وطبعه في كتاب وطبعه على اسطوانات على حسابه الشخصي. ومن أشهر قصائده الشعبية المغناة «يا خسارة يا عز الدين و«مستر دل» و«الثلاثاء الحمراء». وتناقلت السنة الناس هذه

القصائد في كل أنحاء فلسطين والبلدان المجاورة .

ووديع البستاني (١٨٨٨-١٩٥٤) وهو لبناني الأصل اتخذ حيفا مستقرا له إلى حين تركها في عام ١٩٥٤ عائدا إلى مسقط رأسه في لبنان. وهو محام مشهور وكاتب معروف وله مساهمات في الحياة السياسية والاجتماعية والادبية. اصدر عدداً من الكتب منها « الانتداب البريطاني باطل ومحال » باللغتين العربية والانجليزية.

وبولص فرح وهو من مؤسسي عصبة التحرر الوطني ومشارك في العديد من النشاطات السياسية في حيفا قبل وبعد العام ١٩٤٨.

ولمعت أسماء كثيرة في مجال الخدمات الطبية امثال:

د. رشدي بك التميمي(رئيس الجمعية الطبية العربية بحيفا وأخصّائي في الامراض الداخلية والاطفال وعيادته في المستوصف الاسلامي) وجبرائيل ابيض(نائب رئيس الجمعية) وميشيل جبارة (اخصائي امراض نسائية وتوليد) وسعد مسلم(امراض داخلية) واميل سابيلا (طب عام ونساء) وكليمنص هندي(قابلة قانونية)وراجي نصر (صاحب مختبر طبي) وقيصر خوري(امراض داخلية وتناسلية) وابراهيم زعرب(طبيب البلدية ومن رؤساء الجمعية الطبية) وموريس صهيون(طبيب قلب) ونديم خوري (رئيس اطباء شركة تكرير البترول بحيفا) وعثمان الخمرة(امراض داخلية) وسليم سلامة(طب اسنان) ورفيق تابري(طب اسنان) ومنير مشعلاني(معاون المدير الطبي العام ونائبه) ونايف حمزة (جراح ورئيس المستشفى الحكومي) واوهانس طوربان(رئيس القسم الشرعي في دائرة الصحة) وفؤاد تابري (اخصائي امراض العيون والاذن والانف والحنجرة وعيادته في عمارة الكرمليت الجديدة قرب ساحة الخمرة) ومجيد خوري (اختصاصي امراض النساء والجراحة وعيادته في شارع يافا) واميل فرح(جراح واختصاصي بأمراض جفون العيون وعيادته في شارع هرتسليا) وامين المفتي (طبيب وجراح اسنان وهو من خريجي جامعة استنبول وعيادته في شارع الناصرة) ونجيب واكيم(اختصاصي طب اسنان وعيادته في شارع السوق).[1] ومن بين اصحاب الصيدليات: ابراهيم دميان ورشيد نصار وسليم صهيون وطناس عطاالله وتوفيق زينون(صيدليته في شارع يافا)وسليمان بولص(صيدليته في مستشفى الحكومة) وعمر ابو غزالة (صيدلية الوطن في شارع المحطة).

أما القابلات القانونيات فزاد عددهن في اواخر الثلاثينات ومطلع الاربعينيات، ونورد أسماء بعضهن: عفيفة ابو غزالة (عمارة ابو رحمة في حارة النصارى) وعفت ادهم(حارة العباسية) ومجدية ايراني(شارع الناصرة) ووداد حبيبي(شارع المناطير قرب عباس) وشفيقة حداد (عمارة ضومط) ومريم رزق(مستشفى الحكومة) ومريم رفول(محطة الكرمل) ومريم سمعان(دائرة الصحة المركزية) وجميلة الطويل(عمارة انطون منسى في شارع نعيم العسل) وسنية ومزين ظفري(الحارة الشرقية) وزهور عسل(عمارة نعمة خوري في وادي النسناس)وهيفاء قربان(مستشفى الحكومة) وفاطمة مكاري(عمارة الحاج سليم دحدوقي في وادي الصليب).

---

[1] دليل التجارة والصناعة والحرف والمهن العربية في فلسطين وشرقي الاردن ١٩٣٥-١٩٣٦ ، القدس.

ونشير هنا الى ان الخدمات الطبية كانت تقدم من قبل هؤلاء الاطباء والصيدلانيين لسكان حيفا وقرى القضاء. ولم تكن هناك منظمات أو صناديق طبية ينتمي إليها مؤمنون صحيا كما كان الحال في المجتمع اليهودي حيث عملت مؤسسات طبية مثل منظمة مكابي أو صندوق المرضى الذي أسسته منظمة العمال العبريين العامة (الهستدروت).

ما توصل إليه المجتمع العربي هو توحيد الاطباء في نقابة طبية حملت اسم «جمعية الاطباء العرب» وهي عبارة عن إطار تنظيمي للأطباء فقط. أما الجمهور فكان يتلقى الخدمات الطبية على نفقته الخاصة. وعلينا الإشارة هنا إلى أن عددا من الاديرة والجمعيات الخيرية وضعت تحت تصرف الجمهور مستوصفات صغيرة أو عيادات تقدم خدمات طبية وصحية مجانا أو بتكلفة بسيطة مساهمة منها في الحفاظ على صحة الجمهور ، نذكر منها على سبيل المثال دير راهبات الناصرة وراهبات المحبة وراهبات القديسة حنة . اما بالنسبة للمستشفيات فلم يكن للمجتمع العربي مستشفى خاص به انما تلقوا الخدمات في مستشفى الحكومي (رامبام حاليا) ومستشفى الطلياني (ما زال قائما في مكانه) ومستشفى الالماني الذي كان قائما في شارع المستشفى(مائير حالياً). ما أقامه الفلسطينيون بمبادرتهم هو عددٌ من المستوصفات في بعض الاحياء لسد الحاجة الضرورية والمستعجلة.

وبرز في حيفا عدد كبير من المهندسين المعماريين الذين شاركوا في وضع تصاميم عمرانية لمبان كثيرة ما زال عدد منها قائم إلى اليوم، وكان عليهم مواجهة منافسة حادة من قبل المهندسين والمصممين اليهود والأجانب الذين قدموا إلى حيفا وبدأوا بترويج وتسويق مركبات معمارية حديثة. وأسس المهندسون «نقابة المهندسين العرب في حيفا» في عام ١٩٣٤ (مركزها في محلة مس نيوتن في شارع ستانتون) وهيئتها الادارية تكونت من: يوسف حزبون (رئيس) واميل البستاني (سكرتير) وتوفيق منسى (امين صندوق) وعضوية كل من احمد فارس وجورج منسى وفرنسيس انجيل ومنصور عزام واديب اسعد.[1]

وبرز في الميدان السياسي عدد كبير من الشخصيات الحيفاوية، أشهرها: رشيد الحاج ابراهيم (١٨٨٨-١٩٥٥) وهو رجل أعمال وسياسة ومن مؤسسي حزب الاستقلال ورئيس الجمعية الاسلامية في حيفا وعضو في المجلس البلدي ورئيس اللجنة القومية العربية بحيفا، وتعرض لسلسلة من الملاحقات السياسية من قبل الانجليز من بينها نفيه الى جزر سيشيل عام ١٩٣٧. وسامي طه (١٩١١-١٩٤٧) مؤسس الحركة العمالية في فلسطين والامين العام لـ «جمعية العمال العربية الفلسطينية» في حيفا في الاربعينات، واغتيل في ايلول ١٩٤٧ امام بيته في حيفا. وطاهر قرمان من التجار الكبار في حيفا، اصله من نابلس ودخل المجلس البلدي بحيفا وتولى نيابة البلدية، وامتلك شراكة مع ديك وسلطي شركة للتبغ والدخان. وعبد الرحمن الحاج (١٨٧٠-١٩٤٦) وهو رئيس بلدية حيفا بين ١٩٢٠و١٩٢٧. والشيخ عز الدين القسام الذي اشغل منصب امام جامع الاستقلال منذ اقامته في العام ١٩٢٤ الى يوم استشهاده في ١٩٣٥. وجعل النضال ضد الانجليز مسلحا بإعلانه الجهاد عليهم. والمطران غريغوريوس حجار (١٨٧٥-١٩٤٠) وهو رئيس كنيسة الروم الكاثوليك في حيفا والجليل وكانت له مواقف سياسية وقومية بارزة، وعُرف بخطاباته السياسية الهامة وأهمها الخطاب الذي ألقاه أمام اللجنة الملكية البريطانية (بيل) في

---

١ دليل التجارة والصناعة والحرف والمهن العربية في فلسطين وشرقي الاردن ١٩٣٥-١٩٣٦ ، القدس، ص ٦٢.

العام ١٩٣٧ والذي عكس فيه مواقفه ورؤيته من الصـــراع الفلســطيني – الصهيوني وكيفية حله. وأبرز في خطابه هذا الارتباط التاريخي الوثيق بين مركبات المجتمع الفلســطيني الواحد. مشـددا على العيش المشترك عبر العصور.[1]

ان الشخصــيات الهامة التي لعبت ادوارا سياســية واجتماعية وتربوية ســاهمت في بناء قاعدة للمجتمع المـدني الفلســطيني الذي بـدأ يخطو خطى نحـو تكامل اجتماعي معـين، وفق مفاهيـم ومقاييس ذلك العصــر. إلا أن أحداث النكبة تركت أثرها البالغ على هذا المجتمع. فســرعان ما تم القضــاء على بنيته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بتهجير أبنائه، خاصة أصحاب مفاتيح هذا المجتمع، وبالتالي ترك البقية الباقية من العرب الفلســطينيين في حيفا مرتبطين ومتعلقين بنظام حكم جديد له إدارته ورؤيته الآنية والمســتقبلية – اعني دولة اســرائيل. هذا النظام تأســس وفقًا لرؤية الحركة الصــهيونية بتنفيذ تطهير عرقي لســكان فلســطين الأصــليين وإجلائهم عن وطنهم وإحلال مجتمعات أخرى غريبة سمتها الحركة الصــهيونية «يهودًا». فتهمش المجتمع العربي الفلســطيني في حيفا ولم يعد بإمكانه مواصلة بناء ذاتــه او توفير خدماته بنفســه وقــواه الذاتية كما كان الحال قبل ١٩٤٨. وتندرج عملية تصــفية المجتمع الفلســطيني في حيفا ضــمن مخطط تصفية المجتمع المدني الفلســطيني، كل المدن الفلسطينية، خاصة الساحلية منها.

---

١ لمزيـد من المعلومات عنه ســيرة حياته وأعماله بشــكل خاص ومواقفه السياســية والقومية العربيــة راجع كتابنا: رؤية جديـدة لحياة واعمال المطران غريغوريوس حجار. مطبعة ابو رحمون – عكا، ١٩٨٥.



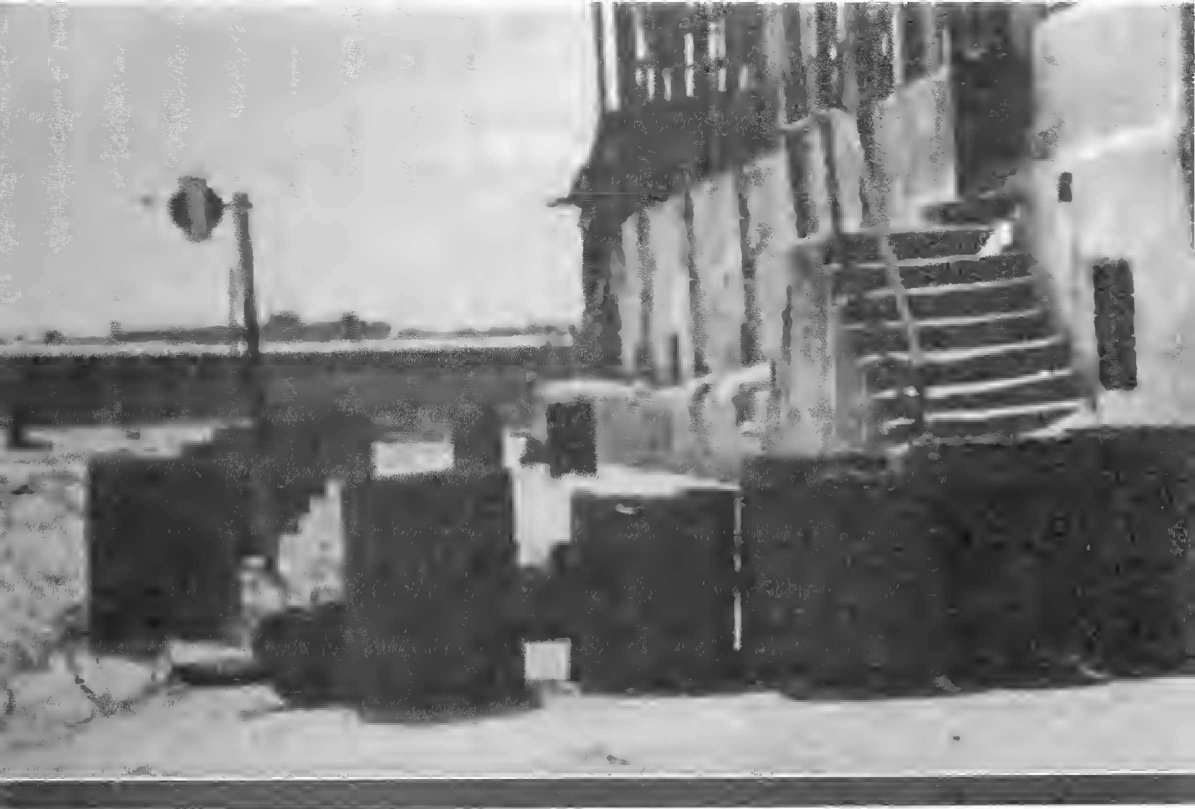
الفصل السابع

الأحياء السكنية وتطورها

تكونت حيفا الجديدة التي بناها الشيخ ظاهر العمر عام ١٧٦١ داخل اسوار اسوة ببقية المدن التي كانت تقام في هذه المنطقة . وتشكلت حياة المجتمع العربي ضمن حدود هذه الاسوار . فبنيت المساجد والكنائس والمؤسسات الحكومية والمعالم الخدماتية كالاسواق داخل الاسوار. وعاش المجتمع العربي في احياء تكونت وفق مفاتيح ومعايير طائفية، فالمسلمون سكنوا في القسم الشرقي من المدينة والمسيحيون في القسم الغربي منها ، والذي حمل اسم «حارة الكنايس».

إلا أن الزيادة في عدد السكان داخل الاسوار دفعت بالإدارة العثمانية السماح للمواطنين بالخروج من الاسوار وتشييد منازلهم في اتجاهين الاول خارج البوابة الشرقية ، والثاني خارج البوابة الغربية والتي تعرف ايضا بإسم «بوابة يافا» المحاذية لساحة الخمرة – او التي تعرف بلسان العامة بـ«ساحة الحناطير».

وحصلت هذه الخطوة في سنوات السبعين من القرن التاسع عشر، حيث قامت عائلات مسيحية بتشييد منازلها في الجهة الغربية للمدينة اي في شارعي يافا والزيتون (النبي) ووادي النسناس. أما العائلات الاسلامية فشيدت بيوتها في الجهة الشرقية للمدينة والتي تعرف باسم وادي الصليب وشارع العراق ثم وادي روشميا وحي الحليصة.



لقد وفرت المدينة داخل الاسوار كافة الخدمات التي احتاجها المواطن، مثل الخدمات الدينية والادارية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية. ورغم إقامة الاحياء السكنية خارج الاسوار وامتداد الاحياء السكنية بشكل طولي (مستطيل) على حافة الساحل والمنحدرات الشرقية وحتى الغربية لجبل الكرمل المطلة على البحر المتوسط ، فإنّ مركز حياة المجتمع العربي بقي حيا ونشطا ضمن الاسوار. فالحسبة الكبيرة استقطبت الآلاف كل يوم حتى عام النكبة ١٩٤٨ حيث تعرضت هذه الحسبة الى قصف مكثف من مدفعية الهاغاناه لدب الرعب والفزع والخوف في نفوس سكان حيفا العرب الذين تجمعوا في ساحة الحسبة.

وحصل المواطنون على حاجاتهم المتنوعة كاللحوم والاسماك والادوات المنزلية من المحلات والدكاكين التي انتشرت في سوق الابيض وسوق الشوام وغيرها من الاسواق المعروفة في حيفا داخل الاسوار.

ولكون الكنائس والمساجد (في معظمها) موجودة داخل الاسوار فإن الخدمات الدينية كانت تقدم فيها، وأيضا قُدّمت الخدمات التعليمية في غرف مجاورة لها استخدمت كمدارس تابعة للطوائف الدينية في العهد العثماني وبعض منها تابع تقديم خدماته خلال السنوات الاولى للانتداب البريطاني.

إن زحف المدينة العربية بإتجاهين نحو الشرق ونحو الغرب ساهم في تطوير الحركة العمرانية وتنشيطها، حيث أُقيمت أحياء سكنية شُيّدت منازلها وفق طراز معماري شرقي متأثر ببعض المُركبات الغربية المقتبسة من اوروبا (وهذا جراء تراكم التأثير المعماري الغربي).

وبات من المؤكد ان انتشار المدينة في هذين الاتجاهين قد جر معه تحولا كبيرا في بنية المجتمع من حيث حصول تغير في مواقع ومراكز حياته، فأقيمت كنائس ومساجد جديدة خارج الاسوار. صحيح أنها لم تكن بعيدة إلا أنها انتشرت في الأحياء الجديدة التي اقامها المجتمع العربي. ولم يقتصر الامر عند هذا الجانب بل تعداه الى إقامة مدارس ونواد ومقاهي ودور السينما وغيرها من مركبات الحياة الاجتماعية، في الاحياء الجديدة.

يمكن ملاحظة انقسام الاحياء السكنية[1] خلال فترة الانتداب الى ثلاثة اقسام: أحياء اسلامية كاملة، وأحياء مسيحية كاملة، وأحياء مختلطة. فالأحياء الاسلامية هي: وادي الصليب، ووادي روشميا وارض البلان وطريق الناصرة وارض الرمل والحليصا وحارة التنك. أما الأحياء المسيحية فهي: وادي النسناس وشارع الكرمة (هجيفن اليوم) والزيتون (اللنبي) وعباس وطريق يافا، ومحطة الكرمل، ووادي الجمال والكرمل الفرنسي ومركز الكرمل.

وبالنسبة للأحياء المختلطة فإنها تكونت في نهاية الثلاثينات ومطلع الاربعينات من القرن الماضي، حيث تحول حي وادي النسناس الى حي مختلط مسيحي – اسلامي. وكذلك حي محطة الكرمل وطريق يافا.[2]

وتسارعت عملية إقامة احياء سكنية بشكل خاص بعد افتتاح ميناء حيفا في عام ١٩٣٢، حيث جذب هذا الميناء اعدادا كبيرة جدا من العمال. ولم يكن بإمكان حيفا ان توفر حاجة الميناء والمنشآت التابعة له من الايدي العاملة، فقدم الى حيفا آلاف من العمال من قرى الجليل (مثلا من شفاعمرو وكفرياسيف وترشيحا وطرعان والجش وكفر برعم)، وشمالي المثلث (خاصة من ام الفحم) ومن قرى جنين وجبال نابلس وشرقي الأردن وجبال حوران في سوريا.[3]

مشروع آخر جذب آلافا من العمال كان معامل تكرير البترول والمنشآت الاخرى التابعة لهذه المعامل وذلك في اعقاب مد خط انابيب شركة بترول العراق I.P.C.

وطبعا تطور المشاريع الصناعية والحرفية في حيفا استقطب عمالا لمصالح كثيرة كسكة الحديد ومصانع التبغ والاسمنت والمواد الغذائية على أنواعها وغيرها.

---

١ نادر عبود. حيفا على مر العصور. مكتبة كل شيء. حيفا، ١٩٨٥. حيث يشير الى نوعين من الاحياء: مسيحية واسلامية. راجع ص ص ٨٧-٩١.

٢ تشير مي صيقلي الى وجود احياء سكنية مختلطة مسيحية – يهودية. مثل منطقة المفخرة في قلب منطقة هرتسليا وحي الشوافنة في قلب هدار الكرمل. راجع كتابها بعنوان « حيفا العربية». ص ٨٧. واود الاشارة هنا للتوضيح ان منطقة المفخرة كانت ملكا لمسيحيين، روم كاثوليك في معظمهم، قبل ان يمتلك اليهود قطعا من اراض مجاورة لها اطلقوا عليها منطقة هرتسليا. وايضا للتوضيح ان حي الشوافنة تعود ملكيته لعائلات مارونية في معظمها، قدمت من لبنان في فترات مختلفة، أبرزها في نهاية الحكم العثماني وبدايات العشرينات من القرن العشرين ، اي مع بداية الانتداب البريطاني.

٣ محمود يزبك. الهجرة العربية الى حيفا. الناصرة ، ١٩٨٨. ص ص ٩٥- ٩٨.

هؤلاء العمال الذين قدموا الى حيفا بمفردهم في البداية اتخذوا لهم مساكن عند اطراف المدينة لكونها رخيصة الايجار والتكلفة. وهكذا تكونت احياء فقيرة مثل حارة التنك (في الحارة الشرقية) ومحطة الكرمل (في الجهة الغربية بالقرب من الميناء – رغم ان هذا الحي كان أقدم من الميناء بعشرات السنين، إلا أن عدد سكانه ازداد في الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي).

وبعد ان يتمكن العامل من معيشته وعمله يستدعي عائلته من قريته الاصلية او مسقط رأسه للسكن معه في حيفا. وهكذا فإننا نجد عشرات العائلات العربية في حيفا من اصول قروية من الجليل ونابلس وحوران وجنوبي لبنان وشرقي الأردن وغيرها.

ويمكن الانتباه جيدا إلى أن بعض الأحياء التي بنيت بعيدا عن المدينة القديمة (داخل الاسوار) تميزت بثراء سكانها كحي عباس او مرتفعات شارع الجبل او حي الزيتون ووادي الجمال، هذا في الجهة الغربية. أما حي الحليصة (القسم الاعلى منه) فقد اشارت البيوت الى ثراء مالكيها واصحابها.

وكان لانتشار الأحياء السكنية الجديدة في حيفا تأثير اقتصادي على مبنى المدينة، اذ تحولت مراكز النشاطات الاقتصادية إلى مواقع أخرى ولو بصورة جزئية لتسد حاجة المجتمع من الاحتياجات المختلفة.

وايضا كان للنشاطين العمرانيين الحكومي واليهودي أثره في تعجيل الحركة العمرانية في بعض الاحياء العربية في حيفا.

فاليهود اقاموا لهم منازل ومؤسسات تعليمية وخدماتية ودينية واقتصادية وادارية في مناطق سكناهم، واهمها هدار الكرمل واحوزه ونافيه شانان والمركز الجديد في حيفا الكائن بالقرب من شارع يافا وحي بات غاليم . ومن جهة اخرى فأن تشيد مباني الحكومة والمحاكم، نقلت مراكز الحياة الى المواقع التي أقيمت فيها. وواقع الأمر أنّ التحول العمراني الكبير كان إقامة شارع الملوك (عبارة عن تجفيف مساحة من البحر لإنشائه وإنشاء الميناء في نهاية العشرينيات من القرن الماضي ومطلع الثلاثينيات) بالقرب من الميناء وبالتالي انتقال مراكز الحياة الاقتصادية اليه او الى الشوارع المجاورة له.

وعلينا الاشارة هنا الى ان المجتمع العربي في حيفا قد واكب التطور الوظيفي للمدينة في سنوات الثلاثينات على وجه الخصوص، فأنشئت بنوك وشركات ونقابات عمالية ومؤسسات وجمعيات ونواد وحركات اجتماعية واحزاب سياسية وغيرها لتوفر كافة الخدمات للمجتمع. وواقع الأمر أنّ المجتمع العربي الفلسطيني في حيفا قد تمتع بديناميكية ميزته عن باقي المجتمعات العربية الفلسطينية (يمكن الاشارة الى تشابه مع المجتمع العربي الفلسطيني في مدينة يافا الواقعة بالقرب من المدينة العبرية الاولى تل ابيب). هذا لا يعني أن تأثير البيئة اليهودية هو السبب الوحيد لحصول هذا الحراك الاجتماعي-الاقتصادي، إنما بفعل رغبة أبناء المدينة الفلسطينية في دخول ركب التطور والنمو. وبدون أدنى شك أنه بوجود بيئة فاعلة كالبيئة اليهودية والانجليزية (من خلال الجاليات الانجليزية التي عملت في خدمة الانتداب البريطاني) والأجنبية كالفرنسية والإيطالية قد تركت آثارها على المجتمع العربي الفلسطيني سواء في حيفا او سواها من المدن الفلسطينية.

والمراقب للتطورات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والتنظيمية في حيفا العربية يمكنه ادراك مدى التحول الواسع والكبير الذي طرأ على هذا المجتمع خلال فترة الانتداب البريطاني. صحيح ان هذا التطور لم يكن بنفس الدرجة التي كانت تحصل داخل المجتمع اليهودي في نفس المدينة وذلك جراء البنيتين المختلفتين للمجتمعين والتأثيرات الانتدابية على كل منهما .

ولكن علينا التأكيد على أن رسم صورة ومستقبل حيفا الاقتصادي والاداري والسياسي لم يكن بيد العرب على وجه الاطلاق، فالوظائف العليا والمهمة كانت بيد الانجليز واليهود. وحصل اليهود بفضل ضغوطهم على نسب كبيرة من الوظائف تفوق احيانا كثيرة نسبتهم السكانية.[1] اما العمالة فكانت من حصة العرب. وكان واضحاً ميل الادارة البريطانية الى منح مستثمرين يهود فرصا كبيرة لتحقيق استثماراتهم من خلال بناء شركات وتوغلهم السريع في وضع مخططات وتصاميم المشاريع العمرانية للمرافق والمعالم المركزية في حيفا.[2]

---

١ صيقلي.م.س. ص ص ١٧٦ -١٨١.

٢ تشير صيقلي في كتابها السابق الى تهميش دور الجماعة العربية في عملية صنع القرار على مستوى التخطيط المحلي والاداري. وتستخلص نتيجة ان هذا القطاع لم يكن في موقع جيد لممارسة الضغط من اجل صيانة مصالحه الخاصة. م.س. ص ٨٤.

الفصل الثامن

الحركة الاجتماعية والنشاطات الثقافية

شـهد المجتمع العربي الفلسـطيني نشاطا واسـعا في مختلف المجالات الاجتماعية و الثقافية خلال فترة الانتـداب البريطاني، وعلـى وجه التحديد بين الحربين العالميتين. ففي حين لم يكن خلال العهد التركي السـابق جمعيات أو نواد كثيرة سـوى ما ارتبط ببعض الطوائف ولأهداف ضيقة تتعلق بالطائفة ذاتها[1]، فإن الفترة التي نحن بصددها تؤكد حاجة هذا المجتمع الى مثل هذه الفعاليات، وبنفس المستوى مساهمة المجتمع في تطوير النواحي الاجتماعية و الثقافية في وسطه. وبناء عليه سنتطرق هنا الى دور الجمعيات الاهلية والنوادي والحياة المسرحية والمقاهي ودور السينما.

كثرت الجمعيات العاملة والناشطة في حيفا، ومعظمها اتخذ الطابع الاجتماعي ثم اتجه بعض منها إلى العمل السياسي جراء ظروف البلاد في تلك الفترة والحاجة الماسة الى اتخاذ موقف وخط سياسي.

ولم تبد الحكومة الانتدابية أي اهتمام في توفير خدمات اجتماعية او ثقافية للمجتمع العربي في حيفا بل اهملت هذا الجانب كليا، ولذا اخذ اشخاص طلائعيون وهيئات خاصة ومؤسسات الطوائف الدينية على

١ ـ قبيـل عهـد الانتـداب انشـىء ما لا يقل عن خمس عشـرة جمعية فلسـطينية وطنية اكثرها خيريـة وادبية . ومن الملاحـظ ان غالبيتها كانت مسيحية. وتفسير ذلك ان المسيحيين كانوا بفضل الامتيازات التي تمتعت بها طوائفهم وسمحت لهم بإنشاء المدارس الخاصة ، وبفضل الجمعيات التبشيرية التي نشطت بينهم اسبق الى تحصيل العلم». راجع مقالة محمود زايد « الاتحادات والجمعيات والروابط والمطابع والاندية ومؤسسات البحوث الفلسطينية ومراكزها» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثالث، ص ١٨٢.



عاتقهم مسؤولية تثقيف وتربية المجتمع.

ويمكن اعتبار سنوات الثلاثينات والاربعينات حتى بداية احداث النكبة في عام ١٩٤٧ في اعقاب قرار التقسيم الصادر عن هيئة الامم المتحدة، بداية وتطور العمل الأهلي من خلال الجمعيات والاندية في فلسطين عامة، وحيفا وقراها خاصة. إذ برزت الجهود الجماعية، التي أشرنا إليها سابقا، في إنشاء شبكة من الجمعيات والاندية تمثل اتجاهات فكرية وثقافية ودينية معينة، وسعت هذه الجمعيات الى تأسيس اتحادات لها قوّت من نشاطاتها بواسطة الارتباط بجمعيات مشابهة لها خارج البلاد، كما حصل مع جمعيات الفتيان المسلمين[١] التي ارتبطت بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، والاتحاد النسائي الذي ارتبط بنظيره في القاهرة ايضاً.[٢] وتأسست شبكة النوادي الارثوذوكسية بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣١ في القدس ثم الطيبة (بالقرب من مدينة رام الله) وبيت لحم وعكا والرملة وبيت ساحور واللد والناصرة وبيت جالا ويافا وحيفا وغيرها. وتألفت في العام ١٩٢٩ لجنة عليا للأندية والجمعيات الارثوذكسية في

---

١ يشير محمود زايد الى ان جمعية الشبان المسلمين قد تأسست في حيفا واقامت لها شبكة جمعيات مماثلة تتبع نهجها ونظامها في كل من القدس وجنين وخان يونس والخليل والرملة واللد وعكا ونابلس ولفتا وصفد والطنطورة والبيرة وقلقيلية. راجع المصدر السابق، ص ١٨٢.

٢ محمود زايد. المصدر السابق، ص ١٨٢.

فلسطين ودعت كل المؤسسات الارثوذكسية إلى الاشتراك في اللجنة المذكورة.[1]

ووسط غياب جهة ثقافية رسمية (المقصود حكومة الانتداب) ظهرت نشاطات محلية من انتاج ابناء المجتمع العربي الفلسطيني في حيفا، ونشاطات وافدة الى المدينة سواء من مدن فلسطينية أخرى أو من الأقطار المجاورة، خاصة من مصر ولبنان اللتين زودتا المسارح والمقاهي العربية في حيفا بنتاجها الفني ومنحتا هذا المجتمع فرصة المشاركة بالعمل الثقافي.

ورغم أن مساحة عمل هذه الجمعيات والاندية كانت ضيقة، وهي في الاساس مؤسسات ثقافية واجتماعية وليست مؤسسات دولة تشرف على مواطنيها، إلا أنها – أي المؤسسات والجمعيات والنوادي- مارست نشاطا سياسيا بشكل او بآخر، بحكم الظروف التي أُقحم فيها الشعب الفلسطيني بواسطة قوى خارجية في مقدمتها الادارة الانتدابية البريطانية والحركة الصهيونية بمؤسساتها المختلفة، فوجد الشعب الفلسطيني نفسه امام تحد كبير. ويمكننا القول ان هذه الجمعيات والاندية قد ساهمت في تعزيز الوعي القومي وتعميقه ومقاومة الاحتلال البريطاني ومواجهة الانتشار والتغلغل الصهيوني في فلسطين بواسطة الادوات التي كانت متوفرة لديها.

فالجمعيات التي تأسست ونشطت في حيفا في فترة الانتداب والتي نحن بصددها هي:

- **«الجمعية الاسلامية»:** تأسست في العام ١٩١٩. وتعتبر اول جمعية اسلامية ظهرت في عهد الانتداب.[2] ومؤسسها ورئيسها مفتي حيفا الشيخ محمد مراد. وكان ابرز اهدافها توفير الخدمات الضرورية للمسلمين في قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومن نشاطاتها افتتاح عدة مدارس في حيفا وتكليف لجنة معارف اسلامية تابعة للجمعية بالاشراف على المدارس. وتشكلت لجنة اخرى لجمع التبرعات لإقامة مشروع المستشفى الاسلامي (لم يُنجز، سوى أنها أقامت مستوصف اسلامي لتقديم الخدمات الطبية المستعجلة). ولعبت هذه الجمعية دورا في المناسبات الوطنية. وشارك في عضوية ونشاطات هذه الجمعية نخبة من ابناء المجتمع العربي المسلم في حيفا حيث وفرت الدعم المالي والمعنوي لنشاطاتها.[3]

- **«الجمعية المسيحية»:** تأسست مباشرة بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها. وترئسها فؤاد سعد، أحد وجهاء العرب المسيحيين في حيفا والشمال.[4]

---

١ المصدر السابق، ن.ص.

٢ محمود زايد، المصدر السابق، ص ١٨٣.

٣ المصدر السابق، ص ٢٢٦، نقلا عن جريدة الكرمل في ٩ كانون الاول ١٩٢٠، وجريدة فلسطين في الاول من تشرين الاول ١٩٢٩، وجريدة الشعب في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٥.

٤ كان لهاتين الجمعيتين «الاسلامية والمسيحية» دور بارز في الحركة السياسية والوطنية وتعاونتا معا بتنسيق جيد في مواجهة تصريح بلفور وازدياد التغلغل الصهيوني في فلسطين. وساهمتا جاهدتين في تنظيم اول مؤتمر فلسطيني رسمي عام مثّل جميع طبقات الشعب من سائر جهات فلسطين، وأقرت به الحكومة وأعترفت بأن يتكلم بلسان الشعب عموماً، وقد عقد في حيفا من ١٣-١٩ كانون الاول سنة ١٩٢٠ وهو المعروف بالمؤتمر الفلسطيني الثالث العام الذي ترأسه موسى كاظم الحسيني من القدس. أما المندوبين الذين مثلوا حيفا فيها: ابراهيم صهيون واسكندر منسى ورجا بك الريس ونجيب نصار ووديع البستاني وثيوفيل بوتاجي وتوفيق الجدع وجميل البحري وفؤاد سعد والمفتي محمد مراد وعبدالله مخلص وابو الخير الموقع وممين الماضي وامين نورالله واحمد الامام ورشيد الحاج ابراهيم ورفيق بك التميمي. وردت هذه المعلومات والاسماء في كتاب جميل البحري. تاريخ حيفا. الصادر في عام ١٩٢٢. ص ٢٣ وص ٢٤.

- **«جمعية الشبيبة المسيحية»**: وهي جمعية أدبية اهتمت بالأمور والنشاطات الثقافية وقدمت عدة تمثيليات لروايات ذات مغازي حسنة تعود بالنفع على الجمهور. ورئيسها اديب جدع.[1]

- **«جمعية السيدات المسيحية»**: تأسست بعد الحرب العالمية الاولى، واهتمت بشؤون تهذيب المرأة والفتاة العربية المسيحية من خلال بعض النشاطات الثقافية والاجتماعية.

- **«جمعية تهذيب الفتاة الاسلامية»**: تأسست في العشرينات. ومن نشاطاتها: كانت تقيم الاحتفالات في المناسبات الدينية وتتبرع للمنكوبين وتساهم في مساعدة الوفود الإعلامية.[2]

- **«جمعية التهذيب والمواساة الاسلامية»**: تأسست في الاربعينات في حيفا. وهدفها: العمل بما يعود على المجتمع بالخير والمنفعة.[3]

- **«جمعية النهضة الاقتصادية العربية»**: غايتها انهاض البلاد علما وتهذيبا وتعليما واقتصادا واخلاقا. وكان من بين اعضائها علماء وادباء ومحامون ومفكرون وصحفيون. وكان من الداعين الى تأسيسها نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، ووضع مع مجموعة من المفكرين قانونها الاساسي وصادقت الحكومة عليه. وتمت الحفلة الافتتاحية في ١٦ اذار ١٩٢٢ حيث انتخبت الهيئة الادارية من سبعة اشخاص وهم: نجيب نصار ووديع البستاني والقس صالح سابا ومحمد علي بك التميمي وعبدالله مخلص ورشدي الشوا وثيوفيل بوتاجي. اما سكرتيرها فكان ميشيل جريس الخوري. وما ميّز هذه الجمعية أنها أخذت على عاتقها وضع أُسس التنظيم النقابي للمهن والحرف المختلفة ليس فقط في حيفا بل في القرى، بحيث تربطها جميعا لجنة عليا منتخبة من قبل المؤتمر العام للجمعية.[4]

- **«حلقة الادب»** وغايتها تعزيز اللغة العربية وتشجيع فن الخطابة والنظر في كل نقيصة من نقائص مجتمع حيفا الادبي واصلاحه، وكذلك التعليم البيتي ونشر الكتب الادبية، وينخرط فيها الأدباء وحملة الاقلام والخطباء ومن مارس فن الادب نثرا ونظما. ومن اصحاب هذه الفكرة الكاتب توفيق زيبق. وتم الاعلان عن اقامتها بعد تأسيس جمعية النهضة الاقتصادية العربية وهي بدعم من هذه الجمعية. ووضعت حلقة الادب نظامها التأسيسي في جلسة تمهيدية عقدت في ٢٨ نيسان ١٩٢٢ شارك فيها اضافة الى زيبق كل من: رفيق التميمي والدكتور قيصر خوري واديب الجدع ويوسف الخطيب وعبد الرحمن رمضان وجميل البحري.

واحدثت هذه الحلقة نشاطا كبيرا من خلال اقامة الحفلات الثقافية والاجتماعية وتنظيم المحاضرات والمسابقات الخاصة بالتأليف المسرحي. وكانت تقوم بدور كبير في الحياة الادبية بما ترجمه اعضاؤها

---

١ أُعيد تأسيس هذه الجمعية في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ بموجب ترخيص من الحكومة المحلية، وهي نفس الجمعية التي كانت معروفة قبل الحرب العالمية الاولى باسم «جمعية نهضة فتيان الروم الكاثوليك»، وقد اوقفت سيرها الحرب التي شتت شمل اعضائها. راجع الملاحظة رقم (١) من كتاب البحري المذكور سابقا ص ٢٨.

٢ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٢، نقلا عن جريدة الكرمل في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ وجريدة فلسطين في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢١.

٣ زايد، المصدر السابق ص ٢٣٢، نقلا عن جريدة فلسطين في ٣٠ حزيران ١٩٤٤.

٤ البحري، م.س. ص ٢٩ . وينقل عنه عبد الرحمن ياغي في كتابه حياة الادب الفلسطيني . دار الآفاق . بيروت، ١٩٨١، ص ٩٦ وص ٩٧.

وما حاضروه[1] .يسمي الباحث عبد الرحمن ياغي هذه الحلقة «نقابة».

- **«جمعية النهضة الارثوذوكسية»**: وضمت عددا من ادباء ومفكري الطائفة الذين تأثروا برياح الحركة الارثوذوكسية العربية المنادية بالمزيد من استقلالية الكنيسة الارثوذوكسية وتوسيع قاعدة القيادة العربية بين صفوف رجال الدين. ومن الشخصيات البارزة فيها: فؤاد عطاالله والياس بهو(من الرامة اصلا) والمحامي حنا نقارة.
- **«جمعية شبيبة كفر برعم الخيرية»**: وهي جمعية خاصة بأهالي قرية كفر برعم الساكنين في حيفا. وتأسست في عام ١٩٣٩.
- **«نادي شبيبة كفر كنا»**: واهتم هذا النادي بقضايا اهالي القرية المقيمين في حيفا، وتأسس في عام ١٩٤٥.
- **«رابطة الشباب البوريني»**: واهتمت بأهالي قرية بورين المقيمين في حيفا والعاملين فيها، وتأسست في عام ١٩٤٥.
- **«الجمعية الخيرية الغزية»**: وهذه اهتمت بأهالي غزة المقيمين في حيفا والعاملين فيها، وتأسست عام ١٩٣٤. (كان لأهالي غزة وعائلاتهم حي في الجهة الشرقية من المدينة).
- **«جمعية النهضة المصرية»**: واهتمت بالمواطنين المصريين المقيمين والعاملين في حيفا، وخاصة عمال سكة الحديد وشركة البترول وغيرها، وتأسست عام ١٩٤٦.
- **«الجمعية الخيرية السورية»**: تأسست عام ١٩٤٦ لترعى جوانب من النشاطات التي تخص الجالية السورية المقيمة في حيفا، والتي في معظمها من اهالي جبال حوران ودمشق الذين وفدوا الى حيفا للعمل في مرافقها الاقتصادية الكبيرة كسكة الحديد وشركة الاسمنت ومعامل البترول وغيرها.
- **«النادي الايوني الخيري»**: تأسس عام ١٩٤٧ وهو خاص بأهالي قرية الجش المقيمين في حيفا. وكانت نشاطات هذا النادي في مجال المحاضرات التثقيفية وتنظيم عروض مسرحية.
- **«جمعية آل عويس»**: تأسست عام ١٩٤٦. وهي جمعية عائلية.
- **«جمعية آل السلوتي – عبود»**: تأسست في عام ١٩٤٧، وهي جمعية عائلية.
- **«جمعية آل الماضي»**: تأسست عام ١٩٤٧ وهي جمعية عائلية تخص عائلة الماضي من قرية اجزم في قضاء حيفا. ولعب عدد من ابنائها دورا في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية العربية الفلسطينية في حيفا وعموم فلسطين.
- **«جمعية الاخاء آل مرجية»** وهي ايضا جمعية عائلية.
- **«جمعية آل هاشول»**: تأسست عام ١٩٤٥ وتخص العائلة القادمة من قرية الجش.

---

[1] وردت هذه التفاصيل لدى البحري وياغي في المصادر السابق ذكرها في الصفحات ذاتها.

- **«رابطة آل حداد»**: عبارة عن رابطة جمعت كل الأسر العربية الفلسطينية التي حملت اسم «حداد». وقام بتأسيسها في عام ١٩٤٥ الكاتب والصحفي منير حداد صاحب مطبعة حداد في وادي النسناس.

- **« نادي موظفي السكة الحديدية في حيفا»**. اهتم هذا النادي بموظفي السكة من خلال نشاطات اجتماعية وثقافية.

- **«جمعية تعاون القرى»**: تأسست في عام ١٩٢٤ واتخذت حيفا مقراً لها. وهدفها تحسين اوضاع الفلاح الفلسطيني. وضمت القرى التالية: إجزم،عين غزال،الفريديس،قمبازة،عين حوض،المزار،جبع،الطيرة،أم الزينات،صبارين،السنديانة،قنّير،ام الشوف،خبيزة،كفرقرع ،عر عرة،الطنطورة،عتليت،قيرة،دالية الروحة،الدفوف،البطيحات،ابريكة،الكفرين، عرب التركمان. وكثيرا ما كانت تقام فيها حفلات ادبية يلقى فيها الشعر وتقدم الدراسات حول شؤون القرية.[1]

- **«النادي الكاثوليكي»**: تأسس في ٢ تموز ١٩٢٢ على يد نخبة من شباب طائفة الروم الكاثوليك بحيفا من أدباء وعمال وموظفين.[2] وغاية هذا النادي التأليف بين القلوب وتوحيد الكلمة وإحداث تغيير في عادات الرجال بدلا من الذهاب الى المقاهي والحانات والمسارح غير الادبية فإنهم يجدون جوابا لهم في هذا النادي.

- **«النادي الارثوذكسي العربي في حيفا»**: تأسس هذا النادي في عام ١٩٣٧ كناد رياضي. ومن أبرز مؤسسيه ونشيطيه: الياس نعمة حبايب، ونصري غنطوس، وصالح حكيم، وحنا زاروبي، وجورج خمّار وجان مجدلاني وجورج جرجورة وخليل خليف. وفتح هذا النادي أبوابه أمام شخصيات من غير طائفة الروم الارثوذكس امثال: رشيد الحاج ابراهيم وعبد الرحمن الخضرا ونبيه ثابت وصلاح الدين العباسي وعبد الكريم الكرمي(ابو سلمى الشاعر). وابرز نشاط قام به هذا النادي اضافة الى المحاضرات والمناظرات الشعرية التي كان يقوم بها، ذلك المهرجان الكبير بمناسبة ألفية وفاة الشاعر الكبير ابو العلاء المعري، وطلب النادي الموجه الى لجنة تسمية الشوارع في بلدية حيفا بإطلاق اسم المعري على احد شوارع المدينة، واستجاب المجلس البلدي الى الطلب بعد توجهات كثيرة، وأطلق اسم المعري في اذار ١٩٤٥ على شارع يربط بين شارعي الناصرة (بار يهودا اليوم) والعراق (كيبوتس غاليوت اليوم).[3] واستضاف هذا النادي عددا كبيرا من الشعراء والادباء الذين كانوا يلقون بمحاضراتهم وقصائدهم فيه، وفي غيره من نوادي فلسطينية في المدن المركزية. ومن بين الذين القوا قصائد في هذا النادي على وجه التحديد الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري.[4] والقى في هذا النادي الدكتور فايز الصايغ احد منظري الحزب القومي

---

١ راجع ياغي .م.س. ص ٩٨. نقلا عن مجلة الزهرة لجميل البحري، عدد ٣ السنة الرابعة ص ص ١٧٨-١٨٢.وزايد المصدر السابق. ص ٢٣٠، نقلا عن جريدة الكرمل في ١٩ تموز ١٩٢٤، وجريدة فلسطين في ٢٢ آب ١٩٣٠.

٢ كان مقر النادي في الارض التي بنيت عليها فيما بعد كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك عند زاوية شارعي اللنبي- عين دور.

٣ راجع المراسلات المتعلقة بتسمية احد شوارع حيفا على اسم المعري في كتابنا « شوارع حيفا العربية » الطبعة الثانية، اصدار جمعية التطوير الاجتماعي بحيفا، ١٩٩٩.

٤ هذا ما صرح به الشاعر الجواهري في مقابلة تلفزيونية معه في برنامج«حوار العمر» مع جزيل خوري في محطة تلفزيون LBC اللبنانية .

السوري محاضرة له حضرها جمع غفير من مؤيدي الحزب.[1]

- «**نادي الشباب العربي**»: تأسس في اواخر عام ١٩٣٦. واتخذ النادي مقراً له في بيت عائلة تنشنتي قرب سينما عين دور في حيفا. ومن مؤسسيه: المحامي حنا نقارة وصبحي عبد الخالق وشقيقه الشاعر مطلق عبد الخالق وبرهان الدين العبوشي وخليل عيد والمحامي انس الخمرة. وفي فترة لاحقة انتقل النادي الى عمارة الكرمليت بالقرب من ساحة الخمرة، لكون مكاتب ومواقع عمل المؤسسين قريبة. واهتم النادي بعقد الندوات الادبية والاجتماعات السياسية والثقافية وغيرها من النشاطات. وأمرت السلطات البريطانية بتوقيف عمل ونشاط هذا النادي عند اندلاع الحرب العالمية الثانية متهمة اعضاءه بميول غير مرغوب فيها ولا تتناسب مع السياسة البريطانية، خاصة خلال الحرب.

- «**جمعية العمال العربية الفلسطينية**»: تأسست في عام ١٩٢٥ في حيفا. وسنتحدث عنها مفصلا في مادة النشاط العمالي.

- «**جمعية الشبان المسلمين**»: تأسست في عام ١٩٢٨ في حيفا، ومؤسسها رشيد الحاج ابراهيم. وتشير الظروف التي تأسست فيها وقراراتها الى عاملين مباشرين واساسيين في انشائها، الاول هو النشاط التبشيري المسيحي وتكاثر جمعيات الشبان المسيحية والثاني هو تأسيس جمعية الشبان المسلمين في القاهرة.[2] ومن نشاطاتها انها افتتحت ثلاثة جمعيات للشبان المسلمين في جبع وإجزم وعين غزال، وألفت ثلاثة لجان: لجنة لتعليم الاميين التي انضم اليها ٢٥ طالباً، ولجنة لعموم انواع الرياضة واخرى للاسعاف.[3]

- «**جمعية الشبان الارثوذكس العرب**»: تأسست في الثلاثينات في حيفا.[4]

- «**نادي شعاع الامل**»: اسسته مجموعة من الشباب العربي الفلسطيني في حيفا، كان معظمهم متأثرا بالفكر الشيوعي.[5]

- «**نادي انصار الفضيلة**»: اسسته نخبة من الشباب العربي التي لم تقبل الشيوعية. واهتم هذا النادي بالمجالين الثقافي والرياضي. ومن ابرز اعضاءه الشاعر حسن البحيري.[6]

- «**جمعية الاتحاد النسائي**»: تأسست في الثلاثينات. وهدفها المعلن «الاهتمام بتعليم الفتيات

---

١ عبد اللطيف كنفاني. ١٥ شارع البرج-حيفا. ص ١٢٨. وكنفاني عضو في هذا الحزب الذي لقي مساحة من الانتشار في حيفا في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية.

٢ محمود زايد، المصدر السابق،ص ٢١٩.

٣ زايد،المصدر السابق، ص ٢٢٨، نقلا عن جريدة فلسطين في الاول من ايار ١٩٢٩.

٤ زايد،المصدر السابق، ص ٢٣٦، نقلا عن جريدة فلسطين من ١١ آذار ١٩٣٧.

٥ تورد الموسوعة الفلسطينية العامة اسم هذا النادي على النحو التالي:«جمعية اشعة الامل» وهي عبارة عن مجموعة شيوعية بادرت الى انشاء «اتحاد النقابات وجمعيات العمل العربية». واستطاع هذا الاتحاد ان يضم اليه عدداً من النقابات في صناعة البترول ومرفأ حيفا ومعسكرات الجيش، وذلك من منطلق اهتمام الشيوعيين الآخذ بالازدياد فيما له علاقة بقضايا العمال. الموسوعة الفلسطينية المجلد الثالث، ص ٢٢٥.

٦ كنفاني.م.س. ص ١٢٩ وص ١٣٠.

الاميّات وفتح فروع للاتحاد النسائي في كل بلد في فلسطين».[1]

- «**جمعية الاحسان والاصلاح لطائفة الروم الكاثوليك**»: تأسست في عام ١٩٢٨ على يد مؤسسها جبرائيل ابيض وهدفها: مساعدة الفقراء ماديا وادبيا وايجاد صندوق خيري دائم. ونشاطها: ان تقوم بمشاريع خيرية وحفلات ادبية وتمثيلية.[2]

- «**جمعية الإخاء الإسلامي**»: تأسست في الاربعينات.[3]

- «**الجمعية الادبية العلمية**»: تأسست في عام ١٩٣٢ وهدفها المعلن ايجاد رابطة ادبية علمية بين الشباب المثقف المتعلم في حيفا وتشجيع المشاريع العلمية في البلد».[4]

- «**جمعية الرابطة الادبية**»: تأسست في عام ١٩٢٨ وهدفها: انعاش الروح الادبية. ونشاطها تمركز في اقامة الحفلات الادبية وإحياء ذكرى الادباء الكبار وتمثيل الروايات الادبية.[5]

- «**جمعية رابطة الشبيبة العربية**»: تأسست في حيفا في الثلاثينات.[6]

- «**جمعية الرابطة العربية**»: تأسست في الثلاثينات، ونشاطها: إلقاء محاضرات في ناديها وفتح مدرسة لتعليم الاميين.[7]

- «**جمعية الاعتصام**»: تأسست في الاربعينات وهدفها الاهتمام بالناحية الثقافية. ونشاطاتها: قامت بإفتتاح مدرسة لتعليم اللغتين العربية والانجليزية مجاناً. ثم أخذت في إعطاء دروس تجارية ايضاً. وكانت تحتفل بالمناسبات الوطنية والدينية وتقيم محاضرات دورية في قاعتها.[8]

- «**جمعية انعاش القرى**»: تأسست في الاربعينات في حيفا. وهدفها رفع مستوى حالة القرية علميا واجتماعيا ورفع مستوى حالة الفلاح العربي. ومن نشاطاتها: افتتحت لها مركزين صحيين في قريتي اجزم والطنطورة، كما افتتحت ثماني مدارس ليلية في ثماني قرى لمكافحة الامية، وفي الناحية الزراعية كانت تعمل على تعليم الفلاح الطرق الزراعية الحديثة للعمل بها في زراعته.[9] وكان من أبرز الناشطين فيها المرحوم الدكتور موفق دياب الذي قدم خصيصا من لبنان للمساعدة في هذه الجمعية. وكان الدكتور موفق دياب قد تخرج طبيبا لتوه. وأتخذ شفا عمرو مستقراً له إلى وفاته في عام ٢٠٠٨.

---

١ محمود زايد، المصدر السابق، ص ٢٢٤ ، نقلا عن جريدة فلسطين ، ١٢ آذار ١٩٣٥.

٢ المصدر السابق ،ص ٢٢٥ ، نقلا عن جريدة فلسطين، ١١ ايار ١٩٢٨ . ووقع خطأ في المعلومة التي نقلها الباحث زايد بأن هذا النادي تابع لطائفة الروم الارثوذكس، وانما الاصح انه تابع لطائفة الروم الكاثوليك وقد اشرت الى ذلك في متن الصفحة ، ولقد شيد مكان هذا النادي كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك في شارع عين دور بحيفا.

٣ محمود زايد، المصدر السابق، ص ٢٢٦، دون ان يضيف شيئا، نقلا عن جريدة فلسطين في ١ شباط، ١٩٤٧.

٤ زايد، المصدر السابق، ص ٢٢٦، نقلا عن جريدة فلسطين، ٢٥ آذار ١٩٣٢.

٥ زايد، المصدر السابق، ص٢٣٤، نقلا عن جريدة فلسطين في ٢٥ ايلول عام ١٩٢٨.

٦ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٤، نقلا عن جريدة فلسطين في ٩ كانون الثاني ١٩٣٧.

٧ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٤، نقلا عن جريدة فلسطين في ٣ ايلول عام ١٩٣٧.

٨ زايد، المصدر السابق، ص ٢٢٧، نقلا عن جريدة فلسطين ، ٤ تشرين الاول ١٩٤٤.

٩ زايد، المصدر السابق،ص ٢٢٨، نقلاً عن جريدة فلسطين،٢٧ كانون الثاني ١٩٤٥.

- **«جمعية تثقيف الفتاة العربية»**: تأسست في الاربعينات واتخذت حيفا مقرا لها. وهدفها المعلن رسميا هو رفع مستوى المرأة في المدينة.[1]
- **«جمعية التعليم والارشاد»**: تأسست في الثلاثينات في حيفا. ونشاطها: افتتحت مستوصفاً جراحيا لمداواة الفقراء مجاناً، والحقت به ثلاثة فروع للتمريض والتوليد وصحة الطفل.[2]
- **«جمعية التقدم للسريان»**: تأسست في عام ١٩٢٤ واتخذت حيفا مقرا لها، وهدفها السعي الى انشاء مدرسة وتشييد كنيسة بإسم الطائفة السريانية الارثوذكسية في حيفا.[3]
- **«جمعية التمثيل الادبي»**: تأسست في حيفا في اواخر العهد العثماني.[4]
- **«جمعية الشبان الاسلامية»**: تأسست عام ١٩٢٤ في حيفا، وهدفها: الاهتمام بالمحافظة على اللغة العربية والانظمة المدنية والمسالك الموروثة والسلف الصالح والمحافظة على الشعائر الدينية والاخلاقية والتقاليد الطيبة وخدمة المبادىء الاقتصادية والنهضة الزراعية، وتوثيق عرى الروابط بين الشبيبتين الاسلامية والمسيحية.[5]
- **«جمعية الشبان العرب»**: تأسست في عام ١٩٣٢ في حيفا على يد الدكتور سليمان كتخدا ومحمود حمود. وهدفها: تنفيذ قرارات مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الاول ولجنته.[6]
- **«جمعية الشبان المسلمين القرويين في حيفا»**: تأسست في عام ١٩٣٢ في حيفا على يد امين القاسم، وهدفها: لم شعث القرويين في مدينة حيفا.[7]
- **«جمعية الشبان المسيحيين»**: تأسست في العشرينات في حيفا ونشاطها في الاساس ثقافي.[8]
- **«جمعية الشبيبة الاسلامية»**: تأسست في عام ١٩٢٤ على يد رفيق صلاح.[9]
- **«جمعية الشبيبة المارونية»**: تأسست في حيفا في العشرينات وهدفها متمحور في النشاطات الادبية والثقافية.[10]
- **«جمعية الطلاب العرب»**: تأسست في عام ١٩٤٥ في حيفا، وهدفها الاهتمام بشؤون وقضايا الطلاب.[11]

---

١ زايد، المصدر السابق، ص ٢٢٩، نقلاً عن جريدة فلسطين ٢٧ شباط ١٩٤٥.

٢ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٠، نقلاً عن جريدة فلسطين في ٩ حزيران ١٩٣٣.

٣ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣١، نقلاً عن جريدة فلسطين في ٢٧ تموز ١٩٢٤.

٤ اوردها ياغي في كتابه، حياة الادبي الفلسطيني من اول النهضة ...حتى النكبة، ص ١٠٣ في معرض حديثه عن الحركة المسرحية في فلسطين عامة وحيفا خاصة.

٥ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٦ ، نقلا عن جريدة فلسطين من الاول من تشرين الاول عام ١٩٢٩.

٦ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٧ ، نقلاً عن جريدة فلسطين في ٢٢ آذار ١٩٣٢.

٧ زايد، المصدر السابق، ص ٢٣٩، نقلاً عن جريدة فلسطين في ٢١ ايلول عام ١٩٣٢.

٨ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٠، نقلا عن جريدة فلسطين من التاسع من كانون الاول عام ١٩٢٠.

٩ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٠، نقلا عن جريدة فلسطين من ٢١ ايار ١٩٢٤.

١٠ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤١، نقلا عن جريدة فلسطين من ١١ ايلول ١٩٢٤.

١١ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤١، نقلاً عن جريدة فلسطين ، ٢٦ نيسان ١٩٤٧.

- «**جمعية العروة الوثقى الخطابية**»: تأسست في اوائل الاربعينات.[1]
- «**جمعية العصبة العلمية**»: تأسست في عام ١٩٢٣ في حيفا، وهدفها: ايجاد رابطة بين شبان حيفا المتعلمين، وتشجيع المشاريع العلمية والادبية.[2]
- «**جمعية العناية بالتلاميذ الفقراء**»: تأسست في عام ١٩٢٢ ومؤسسوها هم نخبة من شبان حيفا، وهدفها: مساعدة التلاميذ الفقراء بواسطة مدرسي المدارس ومعلميها.[3]
- «**جمعية فتيان محمد**»: تأسست في الثلاثينات في حيفا.[4]
- «**جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية**»: تأسست في عام ١٩٢٣ في حيفا. ومؤسسوها هم خيرة شبان حيفا من الفلاحين والمزارعين. وهدفها: التعاون على البر والتقوى وبث الاخلاق السامية وحفظ الروابط القومية والتمسك بما يملكونه من عقار واراض بسبب تدفق الهجرة اليهودية.[5]
- «**جمعية مكافحة الأمية**»: تأسست في عام ١٩٣١ في حيفا ومؤسسوها هم: محمد العفيفي وحسين شهاب الدين واحمد الكيالي. وهدفها: فتح مدارس وصفوف ليلية.[6]
- «**جمعية النهضة المارونية**»: تأسست عام ١٩٣٧، وهدفها: ترقية حالات الطائفة الادبية والروحية والعلمية والجسدية والقيام بشتى المشاريع التي تحقق ذلك.[7]
- «**جمعية النهضة الوطنية**»: تأسست في حيفا في العشرينات على يد الدكتور عثمان الخمرة.[8]
- «**جمعية الهلال الاحمر العربية**»: تأسست في الثلاثينات في حيفا. ونشاطها: تنظيم عروض مسرحية يعود ريعها على المشاريع الخيرية.[9]
- «**الجمعية الوطنية المسيحية**»: تأسست في عام ١٩٢٨ على يد المطران غريغوريوس حجار وفؤاد سعد واديب الجدع.[10]

وتميزت حيفا بكثرة الاندية التي تأسست فيها في فترة الانتداب البريطاني، وهذه الاندية تندرج تحت نفس معايير ومقاييس العمل التي سارت بموجبها الجمعيات والروابط وغيرها من الانشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية منها. ومن بين هذه الاندية:[11]

---

١ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٢، نقلاً عن جريدة فلسطين، آذار ١٩٤٢.

٢ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٢، نقلا عن جريدة فلسطين ، ٢٠ حزيران ١٩٢٣.

٣ زايد، المصدر السابق، ص٢٤٢، نقلاً عن جريدة فلسطين،١٥حزيران ١٩٢٢.

٤ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٢، نقلاً عن جريدة فلسطين،١٩ شباط ١٩٣٧.

٥ زايد،المصدر السابق،ص ٢٤٥، نقلاً عن جريدة فلسطين ،٢٧ تشرين الاول ١٩٢٣.

٦ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٥، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢٥ شباط ١٩٣١.

٧ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٧، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢١ تموز ١٩٣٧.

٨ زايد، المصدر السابق،ص ٢٤٧، نقلاً عن جريدة فلسطين، ١٢ ايلول ١٩٢٩.

٩ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٧، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢٢ شباط ١٩٣٦.

١٠ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٧، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢٢ حزيران ١٩٢٨.

١١ يورد زايد في مقاله المذكور سابقا اسماء مجموعة من الاندية في حيفا وفلسطين عموما ، ص ص ٢٥٩-٢٧٢.

- **«نادي الإخاء العربي»**: تأسس في عام ١٩٤٥. ونشاطه: محاضرات يلقيها رجال الادب والفكر بدعوة منه.

- **«النادي الارثوذكسي»**: تأسس في بداية الاربعينات. وهدفه: الاهتمام بقضايا الطائفة الارثوذكسية الادبية والاجتماعية والرياضية.

- **«نادي انصار الفضيلة»**: تأسس حوالي العام ١٩٤٤. ونشاطه: القاء محاضرات كان يدعو إليها، وكان يصدر نشرة صحية للوقاية من الامراض.[1]

- **«نادي التمثيل والتهذيب»**: تأسس عام ١٩٣٠. مؤسسه: اسكندر ايوب بدران وهدفه: رفع مستوى اعضائه الاخلاقي والادبي والاجتماعي. توقف عن العمل ثم أعيد تأسيسه عام ١٩٣٨ برئاسة فؤاد عويس.[2]

- **«نادي جمعية الشبان المسلمين»**: تأسس في اواخر العشرينات.

- **«نادي الرابطة»**: تأسس في الاربعينات.

- **«نادي شباب العرب»**: تأسس في الثلاثينات، وهو ناد رياضي (راجع معلومات عن نشاطاته في معرض حديثنا عن الالعاب الرياضية في حيفا،خاصة كرة القدم).

- **«نادي الشبيبة الانجيلية»**: تأسس عام ١٩٣٥. وهدفه: اجتماعي،تهذيبي، ديني ورياضي.

- **«النادي العربي»**: تأسس في الاربعينات. وهدفه: توحيد الجهود لمحاربة الامية وبث الروح الادبية عن طريق النشر والكتابة واحياء الحفلات الادبية والتمثيلية وتنشيط الحركات الرياضية وتقوية المجتمع العربي. ونشاطه: اقام هذا النادي مدرسة لمكافحة الامية. وكان يصدر نشرة دورية يركز فيها على توحيد جهود الهيئات العاملة على محو الامية.[3]

- **«نادي فتاة العرب»**: تأسس في عام ١٩٤٦. واهدافه: الأخذ بيد الفتاة العربية والسعي بها نحو المثل العليا.

- **«نادي النهضة»**: تأسس عام ١٩٤٧. ومؤسسوه: نخبة من طلاب المدارس الثانوية. ونشاطه: كان يجمع الاموال لصرفها على المشاريع الخيرية، ويعمل لتأسيس مطاعم شعبية بتكاليف بسيطة لإطعام الفقراء، ولتأسيس مصانع بسيطة لتشغيل المتسولين والعجزة.

وعرفت حيفا مجموعة من الروابط، وقد مر معنا ذكر بعض الروابط العائلية، خاصة لعائلات عربية قدمت من القرى الجليلية ومن مناطق جنين ونابلس. إلا انه تأسست مجموعة من الروابط الاخرى والتي هي اقرب الى طبيعة ومعايير الجمعيات التي اشرنا اليها بإسهاب سابقاً، ومنها:

- **«الرابطة الادبية في حيفا»**: تأسست حوالي عام ١٩٢٨، وكان هدفها إنعاش الحياة الادبية

١ زايد، المصدر السابق، ص ٢٦٢، نقلاً عن جريدة فلسطين،٢٣ حزيران ١٩٤٤.

٢ زايد، المصدر السابق، ص ٢٦٣، نقلاً عن جريدة فلسطين، ١٠ نيسان ١٩٣٠.

٣ زايد، المصدر السابق، ص ٢٦٩، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢٣ شباط ١٩٤٤.

عن طريق المحاضرات والقصائد وغيرها.[1]

- «رابطة الشبيبة الرامية»: تأسست في حيفا. واسسها عام ١٩٤٧ فريق من شباب قرية الرامة المقيمين في حيفا بهدف خدمة بلدهم ورفع مستوى شباب القرية المقيمين في حيفا. وكان مقرها في شارع يافا.[2]

- «رابطة الشبيبة العربية في حيفا»: تأسست في عام ١٩٣٧، وهي جمعية ثقافية تهتم بكل مشروع تهذيبي.[3]

- «رابطة المثقفين العرب في حيفا»: تشكلت في عام ١٩٤٣، وكان هدفها توحيد الجهود للقيام بخدمات ثقافية واجتماعية ورياضية ومكافحة الامية، وقد دعت الى ايجاد هيئة مركزية عليا تمثل جميع اندية المثقفين العرب، كما أصدرت مجلة الغد.[4]

وظاهرة كثرة النوادي والجمعيات تشير الى توفر مساحات من العمل الثقافي والاجتماعي في حيفا. وكون حيفا مدينة استقطبت اعدادا كبيرة من المثقفين والمتعلمين واصحاب الحرف والمهن ذات الاهمية الكبيرة. ومن جهة اخرى يمكننا ادراك وفهم كون هذا النشاط جزءا من تكوين المجتمع المدني الفلسطيني الآخذ بكل مكونات التطور والتقدم لبناء ذاته ولمواجهة الانتشار الثقافي العبري الذي بسط سيطرته على مواقع ونشاطات كثيرة في المدينة. ومما لا شك فيه ان مثل هذه النشاطات قد رفعت من مستوى الحياة الفكرية في حيفا.

لقد تميزت الحركة الثقافية- الاجتماعية العربية في حيفا بالتنوع والتعدد في النشاطات والفعاليات التي نظمتها الجمعيات والاندية والحركات الادبية والاجتماعية والمدارس وبقية المؤسسات الفاعلة في المدينة.

ومما لا شك فيه ان وفرة هذه النشاطات والهيئات قد هيأت الأجواء لغرس بذور نهضة تمثيلية مسرحية في حيفا وبقية مناطق فلسطين.[5]

ففي حين لم تشهد الساحة المسرحية في حيفا زمن الحكم التركي الا نتف من الاعمال المسرحية التمثيلية داخل المدارس فقط، فإن ظاهرة الحكواتي قد لاقت رواجا لها في الفترة التركية واستمرت في عشرينيات القرن العشرين الى ان بدأت تتبلور اسس وتوجهات الاعمال المسرحية. فالحكواتي الذي كان يتخذ له احد مقاهي المدينة مستقراً او في احدى زوايا الحسبة قد استقطب اعدادا كبيرة من المشاهدين والمستمعين. وكان الحكواتي رجلا حافظا لعدد من القصص الشعبي وفي مقدمتها الملاحم التي كان يرويها بمصاحبة الربابة في بعض الاحيان مثل تغريبة بني هلال والزير سالم وحمزة البهلوان وغيرها. فيصول ويجول الحكواتي وهو جالس على مقعده كأنه يمتطي جواده في المعركة، وفي قمة انفعاله وتأثره

---

١ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٨، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢ تموز ١٩٢٨، و٣ تشرين الاول ١٩٣٢.

٢ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٨، نقلاً عن جريدة الشعب، كانون الثاني ١٩٤٧.

٣ زايد، المصدر السابق، ص ٢٤٨، نقلاً عن جريدة فلسطين، ٢٩ آذار ١٩٣٧.

٤ زايد، المصدر السابق، ص ٢٥٠، نقلاً عن جريدة فلسطين، ١٦ تشرين الثاني، ١٩٤٣.

٥ لمزيد من التفاصيل حول انطلاقة الحركة المسرحية في حيفا براجع عبد الرحمن باغي في كتابه حياة الادب الفلسطيني، ص ص ١٠٣-١٠٧.

كان يقذف بقدح الشاي او القهوة الذي يكون موضوعا على الطاولة امامه، مما يحرك الحضور ويثير انفعالاتهم فترتفع اصواتهم ويحدث هرج ومرج في القاعة او المقهى.[1]

وكان يحضر الى المدينة محدثون جوالون يعقدون مسرح «خيال الظل» المبني على قاعدة الدُّمى وهم – أي المحدثون- يطلقون اصواتا واغان يتمتع بها الجمهور، أما أجرتهم فكانت تعريفة او كمية من الحبوب والزيت وغير ذلك.

وانتشر في مرحلة متقدمة متجولون حملوا بأيديهم «صناديق العجب» التي كانت تعرض صورا لقصة معينة مقابل مبلغ زهيد من المال او أغراض تُعطى لصاحب لصندوق.

أما ما له علاقة بالمسرح التمثيلي فقد بدأت تظهر ملامحه في سنوات العشرينات وقويت أكثر في الثلاثينات من القرن الماضي. وكان جميل البحري الكاتب والصحفي قد تبوأ النخبة الطلائعية في وضع أسس المسرح في حيفا، فقام بنشر روايته «قاتل أخيه» في اوائل ١٩١٩ مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى. وهي مأساة تمثيلية ذات ثلاثة فصول، تناولها عُشّاق التمثيل الادبي في البلاد واقبلوا عليها وكتبوا الى صاحبها جميل البحري مهنئين، ومثلت على مسارح سوريا وفلسطين وغيرها من البلاد العربية.[2]

ومنذ مطلع القرن العشرين والمحاولات جادة في حيفا من اجل احياء التمثيل، ومن اجل ذلك انشئت «جمعية التمثيل الادبي».[3]

ولاقت هذه المسرحية رواجا واسعا فتابع البحري في وضع سلسلة من الروايات والتمثيليات الاخرى وقدمها الى رؤساء المدارس لتمثل على المسارح المدرسية. وأشار البحري في معرض ترويجه للتمثيليات التي وضعها بقلمه الى اقبال المدارس والجمعيات على تمثيلها في سائر الجهات يكفي للفت انظار عشاق التمثيل.[4]

ويشير ياغي إلى أنه عندما تقوم جمعية الرابطة الادبية بحيفا في البحث عن رواية لتمثيلها على مسرح بستان البلدة مساء السبت ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٩ تجد أمامها رواية قاتل اخيه مناسبة لها، ويجد نجاحها في تمثيل هذه الرواية اصداءه في انحاء البلدة.[5]

وكان للمدارس التبشيرية والوطنية دورا رياديا في توفير خشبات المسارح لعرض مسرحيات بلغاتها الاصلية كمسرحيات شكسبير وموليير وراسين. وشارك معلمون من المدارس في تدريب طلابهم وطالباتهم على التمثيل.[6]

---

١ محمد البطراوي، «ملامح من المسرح الفلسطيني قبل النكبة»، في مجلة الزاوية (رام الله) العدد الاول، صيف ٢٠٠٢، ص ٩٥.

٢ ياغي، م.س، ص ١٠٣.

٣ ياغي، م.س، ص ١٠٣ . نقلا عن كتاب ولاية بيروت ص ٢٤٩.

٤ في معرض اعلاناته عن مؤلفاته الخاصة وعن مؤلفات ادباء وكتاب اخرين من حيفا قام بنشرها من خلال مكتبته الوطنية . وردت قائمة بالمطبوعات في اخر كتاب : تاريخ حيفا، ص ٥٦.

٥ ياغي، م.س، ص ١٠٤. نقلا عن جريدة النفير الحيفاوية، عدد ١٧، ١٩٢٩ ص ٥.

٦ ويعزو البطراوي نشوء المسرح في حيفا وغيرها من المدن المركزية في فلسطين الى ان طلاب المدارس التبشيرية كانوا في الغالب من المسيحيين، مما يفسر اهتمام المؤسسات العربية المسيحية بالمسرح، واهتمام الكثيرين من الشباب العربي المسيحي واقبالهم على ايجاد مسرح عربي وريادته

وتحرر العمل المسرحي من قيود العرض في المدارس حينما انطلق الى مسارح تمّ تأسيسها في المدينة، وفي معظمها كان في مقاهي ونوادي ثقافية. ولما شُيّدت دور لعرض الافلام السينمائية في الثلاثينات وجد المسرح مأوى جيد ومناسب لتقديم عروض مسرحية محلية او وافدة الى حيفا من كبريات الفرق التمثيلية في مصر ولبنان كفرقة الاجواق الثلاثة بقيادة جورج ابيض والشيخ سلامة موسى وعبدالله عكاشة، وفرقة رمسيس المصرية بقيادة يوسف وهبي عميد المسرح العربي(مثلت روايات كرسي الاعتراف والعرش وغادة الكاميليا والمجنون وراسبوتين والاستعباد وأولاد الشوارع).[1] وكانت جريدة النفير وجريدة الكرمل قد خصصت كل واحدة زاوية من صفحاتها ومقالاتها لتنقل ما يجري في حيفا من الاعمال التمثيلية، فكان لجمعية الرابطة الادبية قصب السبق في تطوير العمل المسرحي بشكل اكثر حرفية ووفق اسس مسرحية متبعة، وهي ذاتها الجمعية التي احضرت فرقة رمسيس المشار اليها انفاً. ثم تبعتها الجمعية الاسلامية التي اسست فرقة تمثيل عرضت رواية « فهد الطرابلسي» على مسرح «زهرة الشرق»فلاقت استحساناً كبيراً، وبعدها قام فريق النادي الساليسي بتمثيل روايتين احداهما «كسرى والعرب» والاخرى «انتقام الكاهن» ولاقتا استحساناً كبيرا. وقام بعدها فريق النادي الرياضي الاسلامي بتمثيل رواية « مطامع النساء»، ثم قام الفريق ذاته بتمثيل رواية «الوفاء». وقام النادي العربي بتمثيل رواية «مجدولين» على مسرح بستان الانشراح بحيفا.[2]

ثم قامت فرقة كشافة حيفا الخامسة بتمثيل رواية «الاسود والنعمان» فأجادت...

وهكذا مثلت على مسارح هذه المدينة في خلال الثلاثة الاشهر: شباط وآذار ونيسان سنة ١٩٢٩ ما يزيد على الثماني روايات..[3]

ولقد تفوقت فرقة الكرمل التمثيلية بإدارة الممثل الكبير اسكندر ايوب بدران على بقية الفرق التمثيلية إذ انه لأول مرة يمكننا ان نقول ان هذه الفرقة هي الفرقة العربية التي استطاعت القيام بأدوار تمثيلية (هملت) المعقدة ونجحت فيها... ومن بين افراد الفرقة سيدات ممثلات اجدن ادوارهن كأسماء خوري وثريا ايوب... وعلى الجملة فقد كان تمثيل (هملت) افتتاحا رائعاً لوجود تمثيل عربي قومي في فلسطين العربية.[4]

والملفت للانتباه هنا ان اسكندر ايوب بدران قد انشأ مسرحه وفق اسس تقنية وفنية متقدمة، وكانت له علاقات قوية مع يوسف وهبي وامين الريحاني وفريد الاطرش وغيرهم من الفنانين العرب الكبار الذين كانوا يأتون الى حيفا لتقديم عروضهم على خشبة مسرح عين دور بالذات. ومشاركة اسكندر ايوب بدران وفرقته كانت من خلال استقبال الفرق الوافدة وتوفير كل الخدمات المتعلقة بإقامتها في المدينة، وايضا مشاركة عدد من ممثلي الفرقة في بعض الادوار الجانبية والقصيرة في فرقة رمسيس

محليا. مقال البطراوي سابق ذكره. ص ١٠٢.

١ واصف كمال ابو الشباب، القصة والرواية والمسرحية في فلسطين(١٩٠٠-١٩٤٨)، في الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني الدراسات الخاصة، المجلد الرابع. ص ١٥٧.

٢ باغي.م.س. ص ١٠٥ وص ١٠٧.

٣ باغي.م.س. ص ١٠٦.

٤ هذا ما كتبه ابراهيم عبد الستار عن الفن المسرحي في فلسطين العربية. في مجلة الاديب جزء ٧ سنة ٣ ص ٥٧، اورده باغي.م.س. ص ١٠٧.

وغيرها ، خاصــة وان هذه الفرق لم تحضــر معها كل طاقم الممثلين، إلا الممثلين المركزيين، وكانت تعتمد علــى ممثلي الصــف الثاني والثالث من ابناء حيفا. وشــارك ايضــا ـ في بعض العروض عازفون محليين خاصة ـ في الفقرات الفاصلة بين مشهد واخر.[1]

أمــا الفِـرَق التمثيلية التــي اهتمت بالفن المســرحي ـ في حيفا فهي: فريــق المنتدى الادبــي، فريق النادي العربي، فريق جمعية الشــبان المســيحية برئاســة اديب جدع، فريق النادي الرياضــي الاسلامي، فريق مدرســة الشبيبة [2] الارثوذكســية، فريق جمعية الشبيبة المارونية، جوقة الاســتاذ عطاالله، فرقة الكرمل التمثيلية برئاســة اســكندر ايوب بدران، فرقة كشــافة حيفا الخامسة، فرقة مدرســة الروم الكاثوليك، فريق النادي الساليســي، فريق مدرسة الروضة العربية، نادي التمثيل الادبي، فريق النادي الكاثوليكي، فرقة جمعية الشبان المسلمين، فرقة الجمعية الاسلامية، فريق الرابطة الادبية.

وكانت المرأة تقوم بتمثيل ادوار مســرحية على خشــبات مســارح المدارس ويدعــى اليها الاهل وعدد من الضيوف. أما عن مشاركة المرأة ـ في النشاطات المسرحية خارج الاطار المدرسي فكانت قليلة للغاية، إلا ـ في مســرحية «هملت» لشكسبير والتي عربها طانيوس عبده واخرجها جميل الياس الخوري وعرضتها فرقة الكرمل التمثيلية بإدارة اسكندر ايوب بدران والتي شاركت فيها سيدتين، إحداهما زوجة اسكندر.

اما حضــور المرأة للحفلات المســرحية فــكان قليلا هو الاخــر، إلا ـ في بعض الحفلات الخاصــة بالفنانة اســمهان وشــقيقها فريد الاطرش او عندما كانت تحضــر ام كلثوم لتقديم حفلاتها الغنائية ـ في بســتان كراكين او الانشراح أو الكوكب بحيفا.

ولما اخذت الحركة المســرحية بالتقدم السريع قامت مجموعة من الادباء بتزويدها بمسرحيات وروايات ـ في مواضيع متنوعة، وكان ابرزهم جميل البحري الذي وضع عشرات الروايات التمثيلية من تأليفه او من ترجمته وتهيئتها لتتناسب مع احتياجات المجتمع العربي الفلسطيني ـ في حيفا وسواها من المدن والقرى . وتعتبر مسرحية «قاتل اخيه» المشار اليها سابقا اول اثر مسرحي محلي كتابة واخراجا وتمثيلا.[3]

وتمتــع جميل البحري بميزات نــادرة وقدرات فائقة ـ في جمعه بين ترجمة روايات عن الفرنســية وإدخال تعديــلات عليهــا وطباعتها ونشــرها تباعــا ـ في مجلة الزهــرة وكانت لديــه مكتبة اطلق عليهــا « المكتبة الوطنية» ثم جريدة الزهور. واعتمد ـ في كتاباته الروائية المترجمة والمقتبســة على اللون البوليســي الذي يمتاز بعنصــري التشــويق والإثارة. وقد وجد ـ في مجلته الزهرة المكان المناســب لنشــر قصصه ورواياته المترجمة. وروايته التمثيلية التي ذاع صــيتها كانت «قاتل اخيه» التي مُثلت على المســارح ـ في سوريا ولبنان وفلسطين وغيرهـا من البلدان العربية، وكان الإقبال عليها مشجعاً.[4]

وبرز ايضــا نجيب نصــار صــاحب جريدة الكرمل، الذي وضــع عددا من الروايات ذات التوجه القومي

١ شارك جد كاتب هذا المقال ـ في العزف على اليرغول والمجوز والناي (الالات النافخة) ـ في الفقرات الفاصلة والانتقالية لحث الجمهور على متابعة حضور المسرحيات ولمنع الملل والتشويش .

٢ البطراوي.م.س. ص ١٠٥ وص ١٠٦.

٣ البطراوي.م.س. ص ١٠٢.

٤ واصــف كمال ابو الشايب،«القصــة والرواية والمســرحية ـ في فلســطين (١٩٠٠-١٩٤٨)»،ـ في الموسـوعة الفلسطينية ،القســم الثاني، الدراسات الخاصة ،المجلد الرابع ، ص١٥٩.

والتاريخي، وفي مقدمتها «رواية مفلح الغساني» ورواية «في ذمة العرب». ومن حيفا ايضا انطلق ابنها الروائي عزيز ضومط الذي وضع عددا من الروايات ذات الصبغة التاريخية مثل «والي عكا». ويقول ياغي عنه: «ان هناك شابا شرقيا عربيا يكاد وطنه يجهل شخصيته، بينما دوائر برلين ومسارحها التمثيلية تتغنى بعبقريته.. وقد بذل جهدا في سبيل نشر الادب العربي في انحاء المانيا، فوضع الروايات التمثيلية الحافلة بمآثر العرب، وبالكتابة في صحف المانيا عن التراث العربي، وبإنشاد الشعر العربي في الاندية الالمانية، ذلك هو الشاب عزيز ضومط...وآخر رواية وضعها كانت «رواية والي عكا» وقد مثلت لأول مرة على مسرح بلدية شترالسون فنالت استحسانا كبيرا. وقد عدوه من الطبقة الاولى من شعراء المانيا. وقد اقاموا له في المانيا حفلة تكريم القى فيها بالالمانية ترجمات شعرية لآيات مطران وشوقي وحافظ... وهو من ابناء حيفا».[1] وطرح اسمه لنيل جائزة نوبل للآداب للعام ١٩٣٨.

« لقيت روايات البحري التمثيلية إقبالاً شديداً ومُثلت على المسارح في بعض الاقطار العربية، وأُعيد تمثيلها، وأعيدت طباعتها. وهو يعمد في رواياته التمثيلية المترجمة الى حذف العنصر النسائي ويحتفظ بالوقائع والمغازي التي وجدت الروايات التمثيلية من اجلها، حسب رأيه، (مقدمة سجين القصر، الطبعة الثانية ١٩٢٧) لأنه في ذلك الوقت كان يصعب ايجاد من يقوم بتمثيل الادوار النسائية بين الشبان، حتى ولو كانت هذه خلواً من الغرام، كما انه يرى ان روايات الغرام مهما كانت نبيلة، شريفة، لا تصلح لأن تمثل على مسارح المدارس. وهذا اعتراف صريح من المؤلف بأن رواياته التمثيلية المترجمة والمقتبسة أُعدت لتقدم على المسارح المدرسية. واكثر الكاتب في هذه التمثيليات من استخدام الشعر العربي. فغلب عليها الطابع الخطابي، ومن رواياته التمثيلية:سجين القصر (خمسة فصول)، وقاتل اخيه (خمسة فصول)، وفي سبيل الشرف (خمسة فصول)، وابو مسلم الخراساني (ثلاثة فصول)، وحصار طبريا (ثلاثة فصول) وغيرها ».[2] إلا أن مسرحية «حصار طبريا» قد وضعها خصيصا للآنسات الاديبات تلميذات المدارس وكانت بطلاتها كلهن من الفتيات.[3]

وكانت الحركة المسرحية في فلسطين في بداية تكوينها في سنوات العشرينات والضرورة كبيرة لمن يسد الحاجة الى مسرحيات ومسارح. فعرف البحري كيفية الاستفادة من هذه الاجواء وقام بنشاطه المتميز المشار اليه سابقاً.

وهكذا سدّ جميل البحري فراغا في حاجة المسرح المدرسي الى الروايات التمثيلية التي تهدف الى تثقيف الطلاب وتعليمهم الفن التمثيلي الجديد الى جانب الفائدة الادبية في تدريبهم على الإلقاء والإنشاد والخطابة.[4]

ويشير الباحث حسام الخطيب الى ان بعض المجلات الفلسطينية في العشرينات من القرن العشرين قد حرصت على ابراز التعددية اللغوية من خلال اعتماد باب الترجمة عن اللغات الاجنبية، ومما لا

---

١ ياغي.م.س. ص ١٠٤ وص ١٠٥. نقلا عن النفير عدد ٢١ سنة ١٩٢٩ ص ١٢.

٢ واصف كمال ابو الشباب، م.س. ص ١٥٩.

٣ نجلاء نصير بشور. « ادب الاطفال الفلسطيني» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع، ص ٢٤٣ وص ٢٤٤.

٤ واصف كمال ابو الشباب. م.س. ن.ص.

شك فيه ان الاحتلال البريطاني قد فرض لغته الانجليزية في الاساس إلى جانب لغات اوروبية اخرى كالفرنسية والايطالية والالمانية. وكان لمجلة النفائس لخليل بيدس دور بارز في هذا المضمار، خاصة وان حيفا كانت مستقرا لها لفترة معينة، ثم مجلة الزهرة للبحري والتي عُرفت فيما بعد بـ «زهرة الجميل» (ابتداء من ايار ١٩٢١). [١]

اما دور عرض الافلام السينمائية فظهرت في اواخر الثلاثينات ونشطت اكثر في الاربعينيات. وتمكن عدد من المستثمرين اليهود من إحضار آلات عرض الافلام وشيدوا دورا لعرض الافلام من اهمها سينما ومسرح عين دور وارمون. وكانت الافلام التي أُحضرت الى حيفا في العشرينات تعرض في المدارس او النوادي التابعة للطوائف المسيحية لطلاب مدارسها ومؤسساتها، وأبرزها الافلام الدينية والافلام الصامتة وفي مقدمتها افلام تشارلي تشابلن الهزلية. وكانت مدرسة السليزيان تعرض افلاما دعائية لها علاقة بالنظام الفاشستي الحاكم في ايطاليا وتمجيد موسوليني. إلى أن قامت السلطات الانتدابية البريطانية بإغلاق هذه المدرسة وبقية المؤسسات الناطقة بالايطالية او التي لغة تدريسها المعتمدة الايطالية والالمانية بطبيعة الحال وذلك خلال الحرب العالمية الثانية.

وكان المواطنون العرب من سكان حيفا وغيرها من المدن والقرى في الجليل وشمالي المثلث يؤمون هذه المسارح وصالات عرض الافلام السينمائية لمشاهدة الافلام . وعرضت ابتداء من اواخر الثلاثينات والاربعينيات افلام عربية ناطقة قام بالتمثيل فيها فريد الاطرش ويوسف وهبي وبشارة واكيم وانور وجدي وليلى مراد وعبد السلام النابلسي واسماعيل ياسين ونجيب الريحاني وشويكار ومديحة كامل وغيرهم. وعرضت ايضا افلام غربية امريكية وبريطانية .

وقام في اواخر عهد الانتداب البريطاني عدد من المستثمرين العرب بإنشاء صالات لعرض الافلام من ابرزها سينما الامين وسينما النصر . وعرض في سينما النصر فيلم واحد في اذار ١٩٤٨ هو «غرام وانتقام» قبل سقوط حيفا بشهر واحد فقط.

وانتشرت في الثلاثينات في المدن الفلسطينية الرئيسية مجموعة من صالات السينما المجهزة التي كانت تعرض الافلام التجارية، المصرية بشكل خاص، على الجمهور.

لعبت المسارح والافلام دورا مركزيا في الحياة الثقافية للمجتمع العربي الفلسطيني في حيفا وسط غياب الدور الثقافي الذي كان يتوجب على السلطة الانتدابية لعبه او رعايته . ومن جهة اخرى وجد العرب انفسهم امام حركة مسرحية عبرية قوية للغاية في حيفا وغيرها من المدن الفلسطينية التي فيها تركيز يهودي كبير كتل ابيب والقدس . وما ميز الحركة المسرحية العبرية انها محترفة قبل قدومها الى فلسطين ، خاصة الفرق التي هاجرت من روسيا وبولندا ثم من المانيا ، حاملة معها الاسس المهنية والعملية والخبرة الواسعة التي مهدت الطريق امام تطوير المسرح العبري بسرعة في حيفا. امام كل هذه المعطيات والخلفيات برز النشاط المسرحي العربي في حيفا بمبادرات خاصة . كما لاحظنا ، دون وجود مؤسسات عليا ترعى هذا النشاط وغيره من النشاطات الثقافية والفكرية.

---

١ حسام الخطيب. • حركة الترجمة الفلسطينية في القرن العشرين حتى عام ١٩٨٥•. الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. الدراسات الخاصة . المجلد الرابع. ص ٢٦١.

وعرف المجتمع العربي اهمية المسرح في بناء شخصيته الفكرية والقومية والانتمائية بشكل عام. بالرغم من ان معظم المسرحيات والاعمال الروائية التي تم عرضها لم تشر بشكل مباشر الى ما كان يجري على الساحة الفلسطينية من تحولات سياسية واقتصادية وعسكرية، إنما اهتم المسرح بعرض دور العرب التاريخي والمساهمة العربية في بناء الانسانية بكل تنوعاتها الحضارية. وكون العرب شعب حضاري له قيمه ومبادئه. هذه التوجهات كان من الضروري اخذها بعين الاعتبار لمجتمع لا قيادة فكرية وثقافية وسياسية جديرة بتولي مهاما قيادية واقعية.

كان لإنتشار ظاهرة الجمعيات والروابط وحركة التأليف والترجمة انعكاسها على ظهور دور الطباعة في حيفا. فالمجتمع الحيفاوي قد حقق تقدما كبيرا في التعلم ونال قسطا عاليا من الثقافة العامة، خاصة في المجالات الادبية والتربوية والمسرحية، وتحول رويدا رويدا الى مجتمع يعتمد على شبكة اتصال وتلقي غير تقليدية، أعني بواسطة المواد المطبوعة. ومما لا شك فيه أنّ كثرة التأليف ووجود جرائد ومجلات في حيفا فرض اقامة دور الطباعة. وبالفعل لعبت دور الطباعة في حيفا دورا رياديا في تعجيل عملية المطبوعات ووضع موارد معلوماتية متعددة الاتجاهات امام القارىء، وبالتالي سهولة الطباعة لقرب دور لطباعة وادخال التجهيزات الحديثة زاد من حدة التنافس بين الجرائد والمجلات ومختلف النشرات التي اخذت تصدرها الجمعيات والروابط في حيفا.

ومن بين المطابع التي تأسست في حيفا في فترة الانتداب البريطاني: [1]

- **«مطبعة آخر ساعة».** مؤسسها: يوسف عازار سلوم. ومكانها في شارع اللنبي.
- **«المطبعة الاحمدية».** مؤسسها :ابو عطاالله الجلندهري. ومكانها في قرية الكبابير على جبل الكرمل. وهي تخدم الجماعة الاحمدية في القرية.
- **«المطبعة التجارية الاهلية».** مؤسساها: الحاج طاهر فرحان والشاعر نوح ابراهيم. ومكانها وقف جامع الاستقلال في حيفا.
- **«مطبعة التقدم».** ومؤسسها: فؤاد سويلم، ومكانها في شارع العراق.
- **«مطبعة حداد».** مؤسسها: منير حداد. ومكانها في شارع اللنبي، ثم انتقلت الى شارع الوادي.
- **«مطبعة دار الطباعة والنشر الفلسطينية».** مؤسسها: محمود يوسف عيسى. ومكانها في شارع الناصرة.
- **«مطبعة الزيتوني».** وكانت تعمل في العام ١٩٣٥.
- **«مطبعة كشاف الصحراء».** مؤسسها: يونس محمود النافع. ومكانها في شارع محطة سكة الحديد. [2]

---

[1] قائمة تفصيلية بالمطابع في حيفا وسائر انحاء فلسطين يوردها محمود زايد، المصدر السابق، ص ص ٢٥١-٢٥٨.

[2] يذكر زايد هذه المطبعة مرتين، مرة لمؤسسها النافع وتاريخ ترخيصها الرسمي اعتمادا على الوقائع الفلسطينية في ٨ شباط ١٩٢٤، والمرة الثانية لمؤسسها عاطف نورالله بترخيص تاريخه ٥ حزيران ١٩٣٤، انظر زايد، المصدر السابق ص ٢٥٦. ويبدو ان النافع قد باع امتيازه في المطبعة الى نورالله مما استوجب تسجيل المطبعة من جديد لدى الدوائر الرسمية المختصة.

- **«مطبعة النجاح»**. مؤسسها اديب الحجاوي. ومكانها في السرايا العتيقة بحيفا.
- **«مطبعة النفير»**. مؤسساها: سهيل وزكي زكا. ومكانها في ميدان الصيقلي. وترخيصها في نيسان ١٩٣٣.
- **«المطبعة الوطنية»**. مؤسسها باسيلا الجدع. وهي اقدم مطبعة عربية في حيفا. تأسست في عام ١٩٠٨. وكانت لها مساهمات كبيرة في نشر الكتب والنشرات والصحف في بدايات حركة التأليف والترجمة والصحافة في حيفا والشمال الفلسطيني.
- **«المكتبة والمطبعة العربية»**. مؤسسها الشيخ محمد نمر الخطيب. ومكانها في شارع ستانتون. وترخيصها من مطلع العام ١٩٤٧[١].
- **«مطبعة محمود يوسف عيسى الصفدي»** في شارع الناصرة.[٢]
- **«مطبعة احمد منيمنة»**. في شارع المحطة.[٣]

---

١ يبدو ان خطأ مطبعيا قد وقع في نقل الاسم على يد زايد. اذ ذكر محمد نمر شكيب، والاصح «خطيب»، وهو مؤلف كتاب «احداث النكبة او نكبة فلسطين».

٢ دليل التجارة والصناعة والحرف....١٩٣٥-١٩٣٦ ،ص٢٠٠.

٣ تميزت مطبعة منيمنة بطباعة فنية ذات الوان، هذا ما يشير اليه دليل التجارة والصناعة والمهن...السابق ذكره ص ٢٠١.



الفصل التاسع

الحركة العمالية:
نشوء وتطور قوة ضغط محلية

امتاز الانتاج الصناعي في فلسطين في العهد العثماني بضعفه وتخلفه الشديد في بعض القطاعات الصناعية. والاجدر بنا ان نستخدم مصطلحات كالحرفة والمهنة وليس الصناعة بسبب غيابها في ذلك العهد. وانتشرت بعض المعامل والورشات الحرفية في المدن الرئيسية كيافا والقدس ونابلس والخليل وحيفا وعكا، مثل معامل للزجاج والفخار في ضواحي حيفا وعكا ومعامل للصناعات الغذائية كطحن الحبوب والسمسم للطحينة والحلاوة والزيت للصابون وبعض الصناعات اليدوية كالنسيج في مجدل عسقلان بالقرب من غزة. و لعدم وجود مصانع بالمفهوم الحقيقي للصناعات فإنه لم تتكون تجمعات عمالية وبالتالي فإن الوعي الطبقي العمالي كان في غاية البساطة ولم يرقَ الى مستوى الثورة والتغيير.[1]

ولما تحررت فلسطين من الحكم التركي ووقعت تحت الاحتلال البريطاني حصل التغيير في البنية الصناعية في فلسطين، فنظام الحكم الجديد مبني على اسس وقواعد صناعية وانتاجية كبيرة وواسعة. ولهذا اصبحت الادارة الجديدة في فلسطين بحاجة ماسة الى ايدي عاملة لتلبي احتياجات صناعاتها وخدماتها المرافقة. وكانت الحاجة ماسة لعمال يقومون بوضع الأسس الاولية للنشاطات

---

١ احمد اليماني. جمعية العمال العربية الفلسطينية بحيفا. دار كنعان للنشر. دمشق. ١٩٩٢. ص ٢٩.



الاقتصادية التي ستهيىء الاجواء لبناء المجمعات الصناعية. وبطبيعة الحال فإن الرؤية البريطانية في هذا الخصوص كانت موجهة نحو حيفا. فالانجليز رأوا في حيفا بوابة فلسطين[1] والشرق قاطبة، وأيضا رأوا في هذه المدينة مركزا استراتيجيا لقواتهم واجهزتهم الادارية والعسكرية، وبالتالي دخلت الى الصورة الحركة الصهيونية بذراع الهستدروت التي تم تأسيسها في حيفا لتكون اول نقابة عمالية عبرية في فلسطين، وذلك من منطلق تحول حيفا إلى مدينة تؤدي وظائف يحتاجها المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، والذي غايته النهائية إقامة وطن قومي يهودي.

وبناء عليه قامت الادارة البريطانية بوضع خطط اقتصادية كان في مقدمتها مشاريع شق الطرقات وتوسيع خطوط السكك الحديدية وتطوير شبكات الاتصالات مع العالم الخارجي وإنشاء الشركات الاحتكارية وفي مقدمتها شركة الكهرباء بإمتياز حصل عليه اليهودي بنحاس روطنبرغ، وإنشاء معامل تكرير البترول والمنشآت التي لها صلة بهذه المعامل، بعد ان تم مد خط انابيب النفط من كركوك في العراق ومن السعودية الى حيفا، وإقامة منشأة الميناء الحديث والمرافق التابعة له، وإقامة مكاتب الجمارك والمكوس والخدمات التي احتاجتها الادارة البريطانية لقواتها العسكرية ولموظفيها الكبار ليس

---

١ عُرفت حيفا بلسان العامة بكونها «ام العمل» و«ام العمال» لتوفيرها فرصا كبيرة من العمل لطالبي العمل فيها.

فقط في فلسطين بل في شرقي الاردن والعراق الواقعتين تحت الاحتلال البريطاني.

كانت الحاجة الى ايدي عاملة مسألة في غاية الأهمية وبحاجة إلى متابعة الزيادة في أعداد العمال سنة بعد أخرى جراء تطور المرافق الصناعية والانتاجية في حيفا. وهذه الحالة أدّت إلى تسهيل قدوم عمال عرب من شرقي الاردن وجبال حوران وجنوبي لبنان وحتى من مصر والعراق. وبالتالي فإن نمو المرافق الاقتصادية والخدمات الحكومية رفع من اعداد العمال الوافدين الى حيفا.

وتعرّض العمال العرب الى سياسة تشغيل مختلفة عن تلك التي حصلت في أوساط العمال اليهود، إذ حصل العرب على وظائف ومهام ليست ذات تأثير في صنع قرار أو التأثير الفعلي، مقارنة مع تلك المهام والوظائف التي حظي بها اليهود. ونال المجتمع اليهودي دعما واسعا من وجود المندوب السامي البريطاني الاول السير هربرت صموئيل وهو صهيوني متعاطف مع الاماني الصهيونية، اضافة الى تأثير الهستدروت على الادارة البريطانية.

من جهة اخرى فإن عدم تولي العمال العرب والموظفين ايضا وظائف مفتاح او ذات تأثير معين أدّى إلى عدم تقاضيهم اجورًا عالية وبالتالي فإن تدني الاجور انعكس على مستويات المعيشة للعمال والموظفين. هذه الفوارق في المعاشات التي كانت قائمة بين العرب واليهود أدّت إلى تعميق الفوارق الاجتماعية والتنظيمية والاقتصادية والثقافية بين المجتمعين داخل المدينة الواحدة التي ضمت العرب واليهود. وستبقى صفة مجتمعين منفصلين في مدينة واحدة ملازمة لحيفا الى يومنا هذا.

توزع العمال العرب في مختلف المرافق الاقتصادية والخدماتية في حيفا والمنطقة الصناعية المجاورة لها، وكان قطاع عمال السكك الحديدية من القطاعات الكبيرة في حيفا وضم في صفوفه عمالا قدموا من سوريا ولبنان ومصر.

وبادر أحد عمال سكك الحديد في حيفا من اصل سوري وهو عبد الحميد حيمور إلى تأسيس تنظيم يرعى شؤون وقضايا عمال السكة، إلا أنه لم يكن بالامكان تحقيق ذلك وسط غياب قوانين وتشريعات تجيز تنظيم العمال، وكان ذلك في مطلع العشرينيات. واتفق حيمور مع عدد من العمال في قطاعه على تأسيس نادٍ اجتماعي ثقافي لعمال سكة الحديد العرب، فتم تشكيل هيئة تأسيسية مكونة من ستة اشخاص، وهم: عبد الحميد حيمور، سعيد قواس، عيد حيمور (ثلاثتهم من سوريا) والحاج حسين نصار، مصطفى محمدية، كامل ياسين. ونالوا ترخيصا تحت اسم «نادي عمال سكة الحديد العرب» في عام ١٩٢٢.

ونظرا لإقبال العمال العرب على الانتساب إلى هذا النادي أعلنت الهستدروت العامة للعمال العبريين عن انها ترى في هذا النادي خطرًا على مصالح عمالها وأنها ستستغني عن مجموعات كبيرة من العمال العرب في بعض الاشغال كالبناء كجزء من سياسة الضغط على النادي والعمال العرب ولتبقى الهستدروت مسيطرة على التنظيم العمالي في فلسطين .

ولمواجهة هذه الخطوات من قبل الهستدروت اعلن العمال العرب عن تشكيل «اللجنة الاخوية لعمال سكة الحديد» التي جعلت ابرز مهامها دعم العمال المعوزين الذين أقالتهم الهستدروت تعسفا وتوفير كافة

الخدمات والاحتياجات التي تسد عوزهم.

والتقت اللجنة مع الشيخ عز الدين القسام إمام جامع الاستقلال ومأذون المحكمة الشرعية الاسلامية بحيفا، وكان وثيق الصلة بالعمال العرب من خلال مقابلته اياهم في الجامع، فبارك فكرة اقامة تنظيم عمالي عربي في حيفا وفلسطين. واتصل مع المحامي محمود الماضي مكلفا اياه بوضع نظام الجمعية ونيل الترخيص.

فتقدم العامل عبد الحميد حيمور بطلب الترخيص رسميا من السلطة الانتدابية البريطانية في نهاية العام ١٩٢٣ ونال الترخيص باسم: «جمعية العمال العربية الفلسطينية بحيفا» ولها حق تأسيس فروع لها في المدن الفلسطينية. واستلم حيمور كتاب الاشعار بالتسجيل في ٢١ آذار ١٩٢٥ فأعلن عن هذا التاريخ عيدا وطنيا للعمال الفلسطينيين.[١]

ولقد مرّت الحركة العمالية في فلسطين في ثلاثة مراحل من تطورها متأثرة بالتحرك والتحول السياسي الحاصل على ارض الواقع في فلسطين والاقطار العربية المجاورة.

فالمرحلة الاولى الممتدة بين التأسيس عام ١٩٢٥ وعام ١٩٣٥ (عام استشهاد الشيخ عز الدين القسام) تعتبر مرحلة البناء والتثقف. وبرز في هذه المرحلة وعي العمال والمنظمين لحقوق العامل وكيفية الكفاح من أجل تحقيق مستوى اعلى من الاجور والخدمات والضمانات للعمال. وكلفت الجمعية احد الشباب بتنظيم الامور المكتبية والمراسلات وهو سامي طه، الذي سيلعب دورا بارزا في قيادة الجمعية والحركة العمالية الفلسطينية.

وكانت الانطلاقة في هذه المرحلة نحو تشكيل نقابات محدودة منها: نقابة عمال شركة السجائر والتبغ في حيفا (شركة قرمان، ديك وسلطي)، ونقابة عمال شركة الدخان والتنباك الوطني في نابلس، ونقابة عمال المخابز، وسائقي السيارات والمحاجر وعمال البلديات...الخ.

وكان سامي طه، بتفويض من الجمعية، يقوم بعمليات الاتصال بأرباب العمل وتقديم الطلبات لعمالهم للانتساب الى الجمعية أو لإقامة نقابة تخص قطاعهم العمالي.

وكان من الضروري عقد مؤتمر عمالي أوّل لإستقطاب الرأي العام العمالي في فلسطين ولطرح بعض القضايا الملحة والمستعجلة، وتمّ عقده في ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في نادي الجمعية الاسلامية بحيفا بحضور ٦١ مندوبا يمثلون العمال من مختلف المهن والحرف والصناعات. وتم الاعلان عن سلسلة من الخطوات يتوجب على الجمعية ونقاباتها اخذها وتحقيقها، منها اصدار صحيفة العامل العربي ومتابعة النضال لتحقيق استقلال فلسطين واستنكار الهجرات اليهودية والنضال من اجل مساواة العامل العربي مع العامل اليهودي. ومناشدة العمال العرب من خطورة الانتساب الى الاتحاد العام للعمال العبريين (الهستدروت). وضرورة توفير خدمات صحية وطبية في كل المدن والقرى الفلسطينية.

---

١ اليماني. م.س. ص ٣٥. وللاطلاع على قانون جمعية العمال العربية الفلسطينية يمكن العودة الى كتاب اليماني ، ص ص ٣٦-٤٦ حيث توزع القانون في ستة ابواب، وهي: اسم الجمعية ومركزها واغراضها، والاعضاء وشروط القبول، والقسم المالي، واختصاصات اصحاب الوظائف، والانتخابات، والفروع والنقابات، والاضراب، والامتيازات.

ونجحت جمعية العمال العربية الفلسطينية من تنظيم واعلان سلسلة من الاضرابات في العامين ١٩٣١ و ١٩٣٢ شملت مختلف قطاعات المهن والعمل تحت عناوين تخص العمال، منها: تحديد ساعات العمل لثمانية في اليوم، رفع الاجور، ومنع الطرد أو الفصل التعسفي من قبل ارباب العمل. بما فيهم اصحاب رؤوس المال العرب .

أما أهم اضراب حققته الجمعية كان اضراب عمال شركة بترول العراق في حيفا (I.P.C.) في ٢٢ شباط ١٩٣٥، واستمر الاضراب عشرة ايام إلى أن استجابت ادارة الشركة لمطالب العمال بحضور مندوبها وممثلها القانوني المحامي حنا عصفور.

وانتهت هذه المرحلة التكوينية والنضالية بإستشهاد عز الدين القسام ودخول فلسطين في مرحلة حرجة للغاية سياسيا واقتصاديا وامنيا. حيث اعلن الاضراب العام والثورة الفلسطينية الكبرى التي شملت وعمت كل انحاء فلسطين.

وهنا بدأت المرحلة الثانية من تاريخ الحركة العمالية والتي امتدت بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ اي من بداية الثورة الى بداية الحرب العالمية الثانية. وحظي القطاع العمالي بحصة الاسد في اعلان الاضراب بهدف التأثير على السياسة البريطانية الموالية لليهود، خاصة وأن زيادة كبيرة حصلت في هجرة اليهود في اعقاب قيام هتلر بتوسيع رقعة ملاحقته للجاليات اليهودية في المانيا وخوف اليهود في ارجاء اوروبا من ملاحقتهم، وبث الحركة الصهيونية ومؤسساتها فكرة تهجير اليهود ليصلوا الى فلسطين ليساهموا في عملية تعجيل تحقيق المشروع القومي الصهيوني، ألا وهو اقامة دولة يهودية.

وانضم الى الاضراب قطاع الفلاحين الذي كان يُشكّل النسبة الكبرى من الايدي العاملة في فلسطين، وكان نصيب الفلاحين من الاستشهاد وتدمير اقتصادهم كبيرا على يد الانجليز، حتى ان اميل الغوري وهو عضو في اللجنة العربية العليا قال: «الحقيقة الثابتة ان الفلاحين في فلسطين بصورة خاصة، وإلى جانبهم العمال بصورة عامة، هم الذين دفعوا ضريبة الدم، وضريبة المال لفلسطين وحقها في الحياة. وهم الذين تحملوا العبء الاكبر في الدفاع عن عروبة فلسطين خلال السنوات الطوال في مناهضة الاستعمار».[1]

اما المرحلة الثالثة من وجود ونشاط الجمعية فامتدت بين ١٩٤٠ وحتى ١٩٤٨. ويمكن اعتبارها فترة انتعاش اقتصادي كبير للعمال في مختلف القطاعات الصناعية والمهنية، إذ أنّ الحكومة البريطانية جعلت من فلسطين قاعدة عسكرية لها في الشرق الاوسط، وبادرت الحكومة البريطانية إلى إقامة العديد من المعسكرات لدعم المجهود الحربي، وكانت هذه المعسكرات بحاجة الى الايدي العاملة، وتمركزت المعسكرات حول المدن كحيفا وعكا ويافا وغزة واللد والرملة ..

ورغم ازدياد فرص العمل وتلاشي البطالة تقريبا إلا أن مستوى أُجور العمال العرب لم يكن بنفس المقدار الموازي للطاقة العمالية التي اخرجوها. وبالمقابل بدأت الهستدروت وهيئات صهيونية اخرى تسعى الى اقامة مشاغل ومصانع خاصة بها لتزويد الحكومة البريطانية بإحتياجات جيوشها الضرورية.

---

١ اليماني،م.س. ص ٦٩. ويورد في الصفحة ذاتها مواقف وآراء مفكرين ومؤرخين فلسطينيين للفترة ذاتها .

مقابـل هذه التحـولات والتطورات الحاصـلة في القطاع العمالي عامة في فلسـطين جـراء التركيز على المجهـود الحربـي رأت الجمعية توسـيع تمثيل العمـال من خلال زيادة عـدد النقابـات العمالية التابعة لهـا لتغطي كافة الفـروع المهنية والعماليـة . فتم تأسـيس «نقابة عمال معسـكرات الجيش البريطاني» وانتسـب إليهـا ٢٨ الف عامل.[١] ثـم «نقابة دائرة الاشـغال العامة». و«نقابة عمال دائـرة البرق والبريد والهاتـف» و«نقابـة عمال ميناء حيفا» و«نقابة عمال شـركة تكرير البترول بحيفا» و«نقابة عمال شـركة سـبني البريطانية»(كانت هذه الشركة تزود المعسـكرات البريطانية ومراكز الشرطة بالمؤن والحاجات الضرورية سواء في فلسطين او في شرقي الاردن والعراق).

رأت الجمعيـة أنه من الضـروري موازاة وضـع واحوال العامـل العربي مع التطور والتقدم الحاصـل في المشـاريع الانتاجية وازدياد قوة الرأسـمال في فلسـطين، وايضا لمواجهة السياسـة التفريقية بين احوال العمال العرب واليهود. ورأت أيضـاً بوجوب إعلان سلسـلة من الاضـرابات كقوة ضـاغطة على السلطة البريطانية وعلى الشـركات الانتاجية لتحسـين ظروف واحوال العامـل العربي. ونجح العمال العرب في تحقيق مجموعة من المطالب. ومن اشهر الاضرابات التي خاضتها الجمعية ونقاباتها المختلفة :

- اضـراب عمال بلدية حيفا (بسـبب قرار رئيس البلدية شبتاي ليفي خصـم ٣٠٪ من اجور العمال وطرد عدد كبير منهم).
- اضراب عمال معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين.
- اضراب عمال شركة سبني البريطانية .
- اضراب عمال ميناء حيفا (طالبوا بتحسين شروط استخدامهم، حققوا بعضا منها).
- اضراب عمال وموظفي الدوائر الحكومية (سكك الحديد، الاشغال العامة، البريد والبرق والهاتف وغيرها...)
- اضراب عمال شركة تكرير البترول بحيفا، وعمال شركة بترول العراق بحيفا.

وامام الضـغط العمالي الذي نفذته الجمعية والنقابات التابعة لها فإنهاحققت اعترافا رسـميا بتمثيلها العمـال من قبـل القانون، وكونها – أي الجمعية – اطارا تمثيليا شـرعيا للعمال العرب الفلسـطينيين. واصـدار الحكومة سلسـلة من التشريعات الخاصـة بالعمال مثل مسـألة التعويض المالي في حال الوفاة أو المرض الخطير أو الاصـابة. وان يتم التوظيف في الدوائر الحكومية الرسـمية على اسـاس النسـبة السـكانية بين العرب واليهود، أي نسـبة ٣ للعرب و١ لليهود. وانشأت الحكومة لتحقيق ذلك دائرة العمل لتشرف على تنفيذ الانظمة والتشريعات الخاصة بالعمل والعمال.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الجمعية قد اقامت جمعيات تعاونية لدعم الأعضاء المنتسبين إليها ومساعدتهم في النواحي المالية والحاجات الضـرورية لهم. ومن بين هذه التعاونيات والجمعيات: «الجمعية التعاونية لتموين عمـال بلدية حيفـا». و«الجمعيـة التعاونية لتموين العمال العـرب بحيفا». و«جمعية التسـليف

---

[١] اليماني.م.س. ص ٧٤.

والتوفير»(بهدف ادخار اموال العمال واقراض المحتاجين منهم) ، و«الجمعية التعاونية لعمال الخياطين» و«الجمعية التعاونية للإنشاء والتعمير» و«الجمعية التعاونية لمزارعي الدخان».

وأسست الجمعية العمالية مكتبا للاستخدام في عام ١٩٤٤، وهو خاص بإيجاد اماكن عمل للعاطلين عن العمل حيث كان العمال العاطلون عن العمل يتسجلون في المكتب الذي بدوره يبحث عن اماكن عمل لهم من خلال الاتصال مع الشركات والمؤسسات.

وتم الاعتراف بجمعية العمال العربية الفلسطينية رسميا من الاتحاد الدولي للعمال، ودُعي كل من سامي طه رئيس الجمعية والمحامي حنا عصفور مستشارها القانوني للمشاركة في المؤتمر التمهيدي العالمي للنقابات لعمالية في لندن في ٦ شباط ١٩٤٥.

وزاد اهتمام الشيوعيين بالعمال العرب بعد ان اقتصر اهتمامهم على الطلبة والمثقفين، وأنشأ الشيوعيون «اتحاد النقابات وجمعيات العمل العربية» ونجحوا في ضم عدد كبير من عمال منشئات البترول والميناء والمعسكرات البريطانية.

ومنذ عام ١٩٤٣ توضح تياران متعارضان داخل جمعية العمال العربية الفلسطينية: التيار الذي يمثل المنظمة النقابية التاريخية للطبقة العاملة، والتيار الشيوعي في الحركة العمالية واصبحوا يعرفون فيما بعد باسم «عصبة التحرر الوطني» منذ ايلول ١٩٤٣.

إلا أنّ التنظيم الشيوعي في الحركة العمالية العربية اعلن احتجاجه على عضوية حنا عصفور في الوفد. ورغم المعارضة هذه إلا أن الاثنين (طه وعصفور) مثلا العمال والقضية الفلسطينية افضل تمثيل من حيث عرض القضايا العمالية والحقوقية والسياسية.

ودبّ خلاف شديد بين التنظيم الشيوعي وبقية التنظيمات والنقابات العمالية المنضوية تحت لواء الجمعية في اعقاب مشاركة الاثنين السابقين في المؤتمر المذكور، وازداد الخلاف حدّة عندما دُعيت الجمعية لحضور المؤتمر التأسيسي لاتحاد النقابات الدولي في باريس في ايلول ١٩٤٥. فانشقت اربعة فروع عن جمعية العمال العربية الفلسطينية وهي فروع حيفا والقدس وغزة ويافا والناصرة واطلقت على نفسها اسم «مؤتمر العمال العرب».[1]

وكان هدف هذا المؤتمر طرح بديل للجمعية وتم انتخاب لجنة تنفيذية. كان بولص فرح احد اعضائها وهو من حيفا.

وتوجهت الى مؤتمر باريس المذكور ثلاثة وفود: الهستدروت وجمعية العمال العربية الفلسطينية (سامي طه وحنا عصفور) ومؤتمر العمال العرب (بولص فرح ومخلص عمرو).

ورغم هذا الانقسام في صفوف الحركة العمالية العربية الفلسطينية إلا أنّ جمعية العمال العربية الفلسطينية تابعت مسيرتها كأكبر قوة عمالية عربية في فلسطين، فعقدت مؤتمرات[2] مركزية لها بعد الحرب العالمية الثانية وحتى وقوع النكبة تم التباحث فيها في قضايا تنظيمية وعمالية وحقوقية

---

١ عن العمال والحركة العمالية يراجع الموسوعة الفلسطينية الجزء الثاني ص ٣٢٥.

٢ المؤتمر الثاني في آب ١٩٤٦ في حيفا. المؤتمر الثالث في آب ١٩٤٧ في حيفا ايضا.

وخدماتية.

وشعر شيوعيو عصبة التحرر الوطني بخطأ شق الحركة العمالية الذي لا يسوغه النقد الموجه الى جمعية العمال العربية الفلسطينية أو إسهام الشيوعيين على صعيد النقابات العمالية. فانتقدت العصبة الانشقاق وطردت القادة المنتسبين إلى مؤتمر العمال العرب. وقد ظهر التناقض في صفوف الشيوعيين إزاء القضية الوطنية الفلسطينية، عندما ادلى عدد من اعضائها بشهادات امام اللجنة الدولية للتحقيق عام ١٩٤٧ متخذين موقفا ايجابيا من فكرة طرح قرار لتقسيم فلسطين على طاولة مناقشات الامم المتحدة في العام ذاته .[١]

وتابع الامين العام للجمعية سامي طه دوره مع رفاقه الآخرين في الجمعية إلى أن اغتيل قرب منزله في حيفا في مساء ١١ ايلول ١٩٤٧ على ايدي جناة مجهولين. إلا ان قياديي الجمعية وجهوا اصابع الاتهام الى قيادة الهيئة العربية العليا وفي مقدمتهم الحاج امين الحسيني، لكون سامي طه قد تعرض الى نقد لاذع وشديد من قبل صحافة الهيئة العربية العليا وبعض شخصياتها.[٢]

وهكذا رأينا ان جمعية العمال العربية الفلسطينية قد عقدت ثلاثة مؤتمرات لها (١٩٣٠ و ١٩٤٦ و ١٩٤٧) ونشطت في تنظيم نقابات ولجان وهيئات عمالية لقطاعات عمل ومهن مختلفة .

وما أن انقضت ثلاثة اشهر على اغتيال النقابي سامي طه حتى اعلنت الامم المتحدة عن قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، ودخلت فلسطين في دوامة الحرب بين العصابات الصهيونية والمقاومين والمدنيين الفلسطينيين إلى أن خرج آخر جندي بريطاني في منتصف ايار ١٩٤٨ وحينها اعلنت الدول العربية الحرب على اسرائيل. ووقعت النكبة الفلسطينية وتشتت الشعب الفلسطيني بكافة مركباته ومؤسساته.

وتأسست إضافة إلى المنظمات العمالية، في عدد من مدن فلسطين غرف تجارية ضمت التجار واصحاب المحلات، ووجدت في كل فلسطين غرفتان تجاريتان في نهاية العهد العثماني واحدة في حيفا والثانية في الناصرة وأعيد تسجيلهما رسميا بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين، وأضيفت عليهما ست غرف تجارية اخرى في يافا وعكا والقدس وغزة والخليل ونابلس. واعترفت الحكومة البريطانية بهذه الغرف التجارية. واهتمت الغرف التجارية بتمثيل التجار امام الدوائر الحكومية الرسمية والعامة وتحسين الاحوال التجارية وتوسيع مرافق التجارة بواسطة زيادة الاستثمارات الخاصة والعامة. أمّا الغرفة التجارية في حيفا فقد تسجلت ثانية كما اشرنا في السجلات البريطانية في عام ١٩٢٠ وتشكلت في منتصف الثلاثينات[٣] من: مخائيل توما (رئيسا) ورشيد الحاج ابراهيم (نائب رئيس) وشفيق السراقبي (امين

---

١ اصدر احمد حلمي حاكم القدس العسكري امرا بحل المؤتمر والعصبة بوصفهما منظمتين غير شرعيتبن . راجع الموسوعة الفلسطينية العامة المجلد الثاني، ص ٢٢٥. ولكن هذا الامر لم يكن ناجعا بسبب بقاء معظم اعضاء عصبة التحرر الوطني وقياديي الشيوعيين في الجزء الفلسطيني الذي اقيمت عليه اسرائيل، وانضموا الى صفوف الحرب الشيوعي فيما بعد وتبوأ عدد منهم مناصب هامة في قيادة الحزب والكنيست الاسرائيلي.

٢ يطرح اليماني في كتابه المذكور سابقاً سؤالا يوجه من خلاله اصبع الاتهام باغتيال طه الى اجهزة القيادة السياسية في الهيئة العربية العليا . راجع كتابه ص ص ١٨٦-١٨٨.

٣ دليل التجارة والصناعة ... ص ٥٨.

الصندوق) وعضوية: توفيق مجدلاني وعزيز ميقاتي وقيصر ابيض والحاج طاهر قرمان وشكري سابا وسليم الفتياني وجورج طويل واتيس الحوري والياس الحداد وتوفيق زيبق (سكرتير). أما آخر رئيس للغرفة التجارية في حيفا قبل النكبة فهو كامل عبد الرحمن.[1]

١ تولى كامل عبد الرحمن رئيس الغرفة التجارية العربية في حيفا رئاسة المؤتمر الثاني لجمعية العمال العربية الفلسطينية الذي انعقد في حيفا في نهاية آب عام ١٩٤٦، ومما جاء في كلمته الافتتاحية: «ان المصلحة الوطنية تستوجب تفاهم العمال مع اصحاب العمل العرب، محافظة على اقتصادياتنا الوطنية، وثروتنا القومية ولمكافحة الرأسمالية الصهيونية، والاستعمار الذي يريد ان يبقينا زراعا ويبعدنا ما امكن عن كل مشروع صناعي لنبقى فقراء... وليكن هدفنا الذي نسعى اليه تحقيق هذا التنسيق وتقريب وجهة النظر بين العامل العربي وصاحب العمل كي تكوّن جبهة واحدة نستطيع الصمود امام عدوين لم يعرف التاريخ اشد منهما فتكا هما: الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية». اليماني.م.س. ص ١٠٢.
يبدو هنا خوف التجار العرب في حيفا من اشتداد النفوذ التجاري اليهودي في حيفا وسواها من المدن الفلسطينية، ولذا ربط بين نقيضي العمل، اي بين الطبقة العاملة والقوة الرأسمالية.



خاتمة

شهدت المدينة الفلسطينية، كما رأينا من خلال هذه الدراسة، مشهدا يشير إلى استعداد المدينة وسكانها لمواجهة التحديات دون رفضها. حيث أنهم تبنوا تحديات وتغييرات معاصرة وفدت على المدينة، وفي الوقت ذاته عملوا على تشكيل وبلورة شخصيتهم الذاتية والجماعية، متطلعين نحو بناء مجتمع متقدم، إلا أن النكبة حالت دون تحقيق ذلك، بل حدث تمزيق لنسيج الشعب الفلسطيني المدني، إذ انهارت المدينة بفعل تطبيق مخطط صهيوني مبرمج ومدروس، وهو إبادة وجود المدينة الفلسطينية ورفع مكانة المدينة العبرية وربط ما تبقى من أشكال سكن عربية فلسطينية كالقرية ومضارب البدو بالمستوطنات والمدن الاسرائيلية.

ما كان يمكن للمجتمع العربي الفلسطيني في المدينة الفلسطينية من مواجهة تحديات وتغيرات العصر بمفرده وبمعزل عن محيطه العربي، وهنا كانت المدينة حلقة وصل وترابط بين أهالي فلسطين الأصليين وبين العرب المهاجرين اليها خلال العهد التركي وعلى امتداد فترة الانتداب.

نظرتنا إلى المدينة الفلسطينية بكونها تحمل في مركباتها ومكوناتها سمات الحداثة والتطور، وغير



منغلقة على نفسها إنما ذات مركبات انفتاحية استطاعت ان تتيح مساحات شاسعة لمجموعات قومية ومذهبية للعيش المشترك والإقامة فيها، وحيفا هي نموذج لكل ما استعرضناه.

وأخيرا، لا ندعي أننا استوفينا الموضوع حقه من حيث مركباته ومكوناته، إنما قدمنا أسسا وافكارا تفتح الباب على مصراعيه لمزيد من الدراسات والبحوث في هذا المجال.